الكُرْد وكُرْدِسْتان

تأليف

أَرْشاك سافْراسْتيان

ترجمة

الدكتور أحمد محمود الخليل

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

توضيح

نشرتْ دار سَرْدَم – السليمانية- إقليم كُردستان- العراق

الطبعةَ الثانية من هذا الكتاب سنة 2008

وأقدّمه إلى القرّاء في شكله المخطوط.

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

KURDS
And
KURDISTAN

ARSHAK SAFRASTIAN

LONDON
THE HARVILL PRESS L T D

23 LOWER , BELGRAVE STREET

FIRST PUPLISHED 1948
PRINTED IN THE NELHERLANDS

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

مقدّمة الطبعة الثانية

بقدر ما تتعارف الشعوب تصبح أقدر على التفاهم والتعاون، وأكثر استعداداً لبناء علاقات ودّية، وأكثر حصانة ضد القوى الحريصة على زرع الخلافات بين الأمم، وإشعال نيران الخصومات؛ وانطلاقاً من هذه الرؤية ترجمت كتاب (الكُرد وكُردستان) لأرشاك سافراستيان، بُغية تعريف قرّاء العربية بجوانب من تاريخ الكُرد، وقد نُشر هذا الكتاب بالإنكليزية في لندن سنة (1948م)، وترجع أهميته- في تقديري- إلى أمور ثلاثة:

- الأول: أنّ المؤلّف من أصل أرمني، وهو على علم دقيق بجغرافيا شرقي المتوسط وتاريخه القديم والحديث، وبأحوال الكُرد، كما أنه معاصر لما جرى في تركيا من أحداث في النصف الأول من القرن العشرين.
- الثاني: أنّ الكتاب يستعرض تاريخ الكُرد قديمَه وحديثه على نحو مختصر، ويقدّم بسَلاسة، وبشكل مترابط، أبرز الأحداث المتعلقة بالشأن الكُردي.
- الثالث: أنّ الكتاب يتميّز بطابع علمي وأكاديمي جادّ، ويقدّم نظرة متكاملة إلى تاريخ الكُرد، في إطار المعطيات التاريخية الموثَّقة.

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

وقد انتهيت من ترجمة الكتاب سنة (1998م)، وتفضّل الصديق الأستاذ تاج الدين الكُردي حينذاك بمساعدة قيّمة جداً في هذا المجال، فله مني كل الشكر والتقدير. وأذكر بالتقدير جهود أبنائي صلاح الدين، وعلاء الدين، ومحمد، وشيار، إنهم كانوا يقتطعون ساعات من أوقات راحتهم، لمساعدتي في طباعة المسودة.

وتولّت (مؤسّسة سَما للثقافة الكُردية)- مشكورة- إصدار الطبعة الأولى من هذا الكتاب سنة (2007 م)، وقد استدركت في الطبعة الجديدة هذه تصويب بعض التواريخ والعبارات وأسماء بعض الأعلام، وأضفت إليها فقرات سقطت في الطبعة الأولى، وأغنيتها بهوامش توثيقية وبتعليقات وتوضيحات جديدة، بقصد تأصيل المادة المترجمة من الناحية التاريخية، وإزالة الغموض عما قد لا يكون مفهوماً، وتصحيح بعض المعلومات، وأشرت إليها جميعها بكتابة كلمة (المترجم) في آخرها؛ لتمييزها من الهوامش التي كتبها الكاتب نفسه.

أحمد محمود الخليل

السبت: 7 – 6 – 2008 م

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

الفصل الأول

أحداثٌ تاريخيّة لشعبٍ عَريق

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

1

نستطيع أن نُجابِه العالَمَ

" تأمّل هؤلاء الفرسان المندفعين، إنهم لا يعرفون الخوف والقهر، تأمّل اندفاعهم السريع الذي لا يقاوَم وهم يصعدون الجبال، رجالُنا يسدّدون بنادقهم إلى الأعداء بدقة وهم يهرولون، إنهم يستطيعون أن يحاربوا وهم ينزلقون من تحت بطون جيادهم، ويطلقون النار من بين قوائمها الأمامية. بعون من الله، وبرجال كهؤلاء، نستطيع أن نجابه العالم، وما من أمّة تستطيع مقاومتنا لوقت طويل".

هذا ما افتخر به **مصطو أحمد آغا**، أحد زعماء اتحاد العشائر الكُردية في منطقة **بُوتان**، وهي منطقة واقعة على المنحدرات الشمالية الشرقية لجبل جُودي[1]، وجبل جودي هو أحد الجبال المكلَّلة بالثلوج في كُردستان، ويقع شمالي مدينة الموصل في العراق.

---

1 – يقع جبل جُودي قرب جزيرة بُوتان (جزيرة ابن عُمَر)، في كردستان المركزية (جنوب شرقي تركيا حالياً)، وليس في العراق، وقد جاء في القرآن أن سفينة النبي نوح رست على قمة هذا الجبل لمّا هدأ الطوفان، تقول الآية: **(وغِيضَ الماءُ وقُضِيَ الأمرُ واستَوَتْ على الجُودِيّ)** [سورة هُود، الآية 44]، ومن المفيد الانتباه إلى أن كلمة

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

استضافني مصطو آغا- كما كان يدعوه رفاقه المقرَّبون- في خيمته، في (آب/أغسطس 1910 م) وطلب مني تأجيل رحيلي ليوم آخر، كي نشهد قتالاً قبلياً مع رجال القبائل المجاورة في شِرْناخ، كان ذلك القتال سيندلع- حسب اعتقاده- في اليوم التالي، وهكذا يستعر العداء القبلي من جديد، بعد أن كان قد هدأ بضع سنوات، فالدماء التي أريقت في الماضي لا بد أن تُغسل بدماء جديدة، وإلا تفقد القبيلة المجني عليها شرفَها وهيبتها في المنطقة[1].

وفي سنة (1910 م) كان العراق كله، ومن ضمنه جبل جُودي[2]، لا يزال ينتمي إلى الإمبراطورية العثمانية، وقبل سنتين من ذلك كله كان حزب (تركيا الفتاة) قد هيمن على السلطة، ثم أطاح بالسلطان **عبد**

(جودي) هي إحدى صيغ (جُوتي= غُوتي= گُوتي)؛ الاسم التاريخي العريق لواحد من أكبر فروع أجداد الشعب الكُردي في كُردستان- المترجم.

1 - هذه واحدة من أكثر السلبيات خطورة في تاريخ الكُرد، إنهم انشغلوا بقهر بعضهم بعضاً داخل القرية الواحدة، وداخل المنطقة الواحدة، بدل توحيد الصفوف لتحرير وطنهم، وإقامة دولتهم المستقلة، والسبب الأكبر وراء هذه الظاهرة هو غلبة الانتماء القبلي على ذهنية كثيرين من زعماء الكُرد، بدل الانتماء القومي، والمؤسف أن الدول التي تتقاسم كُردستان كانت- وما زالت- تستغلّ بدهاء هذه الثغرة في الذهنية الكُردية؛ لإسقاط المشروع التحرري الكُردي- المترجم.

2 - سبقت الإشارة إلى أن جبل جُودي لا يدخل ضمن الحدود العراقية، وإنما صار من حصة تركيا بعد تقسيم الأرض الكُردية بموجب اتفاقية سايكس- بيكو سنة (1916 م)- المترجم.

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

الحميد الثاني ذي السمعة السيئة، وخلال حكمه الدموي الذي استمر ثلاثين عاماً، كان عبد الحميد يفضّل زعماء العشائر الكُردية المرموقي المكانة، وينهال عليهم بأوسمة عسكرية خاصة.

وفي سنة (1909 م) أطيح بالسلطان عبد الحميد الثاني، فاستاء كثير من زعماء العشائر الكُردية، وساء ظنهم بالحكومة التي أقامها حزب (تركيا الفتاة)، وأبدوا عدم رضاهم عنها، وإن مصطو آغا المتحصّن بمناعة الجبال، والمحاط برجال قبيلته المخلصين له، لم يكن ينظر بجدية واحترام إلى حزب (تركيا الفتاة)، وكان يسمّي أفراده بالملحدين والمفسدين، ويذكر أنهم سيجلبون الكوارث على البلاد؛ وفي كل الأحوال كان مصمّماً على تأكيد ذاته بخوض المعركة القبَلية ضد قبيلة منافسة من شِرْناخ.

وفي الصباح الباكر من اليوم التالي ركبت مع مصطو آغا، لأشغل موقعاً في تلّ مطلّ على أحد السهول حيث ستجري المعركة، وكنا على مسافة آمنة من مكان نشوبها، وكان مصطو آغا مرافَقاً بأخ له أصغر منه سناً، ومعه حاشية تضم عشرة من الفرسان المسلحين جيداً، وكان هؤلاء حراسه على الدوام، أما قائد فرسانه فكان ابنه الأكبر، الذي كان وسيم الشكل، وبارعاً في الرماية، وكان في الأربعين من عمره تقريباً، وكان فرسانه المحاربون يبلغون الأربعمئة تقريباً، وهم أقوياء، وكانوا قد

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

وصلوا قبلنا إلى المكان، وراحوا يتدربون ويتسابقون على جيادهم، ويغنون أغاني الحرب.

ولم يظهر العدو، لقد تأخر ساعتين، وكان ذلك التأخير كافياً لأن ينعتهم مصطو آغا وأخوه بالجبن، وبأنهم يشبهون النساء. وبينما كنا في منتصف القصة التي كان يرويها لي مضيفي، ويذكر آراءه في منافسيه، سمعنا قعقعة السلاح، وإطلاق النار من الجهة المعاكسة، وبوساطة المنظار استطعنا أن نلاحظ رجال قبائل شِرْناخ ينحدرون من التلال، ويندفعون باتجاهنا على بعد حوالي ستة أميال، وهم يلوّحون بسيوفهم اللامعة تحت أشعة الشمس الساطعة، ويطلقون النار في الوديان، لينذروا خصومهم بالمجيء، فالقانون القبَلي غير المكتوب يمنع الهجوم المفاجئ في المعارك المتعلقة بالشرف القبلي.

وأرسل مصطو آغا أخاه إلى أرض المعركة بعد أن زوّده بالنصائح، وتمنّى النجاح لابنه الذي يقود فرسانه في المعركة، وأحنى رأسه متمتماً ببعض الابتهالات بالعربية. واندلع القتال في الحال، ولكن بسبب الغبار الكثيف والدخان اللذين أحاطا بالمتقاتلين فوراً، لم نستطع أن نشاهد إلا القليل، واستطعت فقط أن أسمع الطلقات المنبعثة من البنادق كالرعد، ووقع حوافر الجياد المهرولة بعنف، وهي تصهل بقوة، وفي أقل من ساعة خفّت طلقات البنادق، ثم توقفت تدريجياً.

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

ولدى عودتنا إلى المضارب شاهدت مصطو آغا انتصب انتصاب الزعيم في ساحة العرض على مسافة قليلة من المضارب، كان الغبار والعرق يغطي الرجال والجياد، وكانت نظرات العنف والغضب تشع من عيونهم، هؤلاء الكُرد المقاتلون يحاربون بضراوة حقاً، وكان مصطو آغا فخوراً جداً برجال قبيلته، وشعرت أنه كان محقاً عندما قال:

" **بعون الله، وبرجال كهؤلاء نستطيع أن نقهر العالم، وليست ثمة أمة في العالم تستطيع أن تقاومنا لوقت طويل** "[1].

1 – في هذا القول كثير من الاعتزاز والعنفوان والثقة بالذات، وهذه أمور جيدة، لكنه يشتمل في الوقت نفسه على قدر بالغ من الغرور، وعلى البدائية في فهم العالم، ويفتقر إلى الحس الواقعي السليم، وهذه واحدة من سلبيات الذهنية القبلية المتأصلة في شخصيات بعض زعماء الكُرد– المترجم.

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

2

" الرُّوم" يَجِب أنْ يَرحلوا

منذ قرابة أربعين سنة كان لقب (رُومي) يطلق في كُردستان، بشكل عام، على كل غازٍ أو محتلّ أو شخص قادم من مناطق البوسفور وآسيا الصغرى، وبصورة عامة فإن حدود (رومي) كانت تمتد من غربي سامْسُون Samsun خط طول سِيواس– كيليكيا، وكان الأتراك والرومان والبيزنطيون كلهم يُدعون (رومي) دون فرق يذكر[1].

1 – بعد أن سيطر الروم على آسيا الصغرى (غربي تركيا حالياً)، وورثوا النفوذَ الإغريقي الذي بسطه الإسكندر المكدوني على تلك المنطقة، صاروا متاخمين للكُرد، ودخل الفريقان في صراع طويل الأمد، فالروم كان يهمّهم التمدّد شرقاً على تخوم (طريق الحرير) العالمي، ذلك الشريان الاقتصادي المهم، ولتحقيق ذلك الهدف الستراتيجي كان لا بد لهم من السيطرة على الجغرافيا الكُردية، وهذا ما لم يسمح به الكُرد، وكان من مصلحة الإمبراطورية الفارسية تعزيز الموقف الكُردي طبعاً،

واتخذ الصراع الكُردي – الرومي بعداً أيديولوجياً أيضاً، فالكُرد كانوا يحاربون تحت لواء العقيدة الزردشتية، بينما كان الروم يحاربون تحت لواء العقيدة المسيحية، وظل الصراع بين الخصمين قائماً في الإسلام، بل أحسب أن نفور الكُرد من سيطرة الروم كان من جملة العوامل التي جعلتهم يعتنقون الإسلام، ويتخذونه أيديولوجيا جديدة لمواجهة المدّ الرومي، بعد أن سقطت الإمبراطورية الفارسية حامية حمى الزردشتية.

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

وبالطبع فإن مصطلح (رومي) كان يحمل شعوراً بالازدراء الشديد، وكان مرادفاً في نفس الوقت للإلحاد ولكل الرذائل التي يمكن أن يتصورها المرء، وما تزال دلالات كلمة (رومي) هذه دارجة بين القبائل الكُردية النائية التي لم تشهد أنماط الحياة الحديثة، وبدرجة أقل بين عرب الشمال والأرمن وغربي إيران، وثمة أحداث عديدة توضّح أن هذه الفكرة كانت سارية بين القبائل الكُردية القديمة، ويمكن إدراك ذلك من بعض التجارب الشخصية، ويكفي أن نذكر واحدة منها.

إن **بشار چَتُو آغا** Bisharé Chato محارب له قلب أسد الجبال، كان الزعيم الأكثر احتراماً وشهرة لاتحاد خمس من العشائر الكُردية، التي يمكنها في حالات الطوارئ حشد ثلاثة ألاف فارس مسلح، وكان بشار رابضاً في معقل عائلته الواقع على جرف صخري شامخ في جبال طوروس، إنه معقل بعيد عن الدروب السالكة، ويصعب اقتحامه.

كان **بشار چَتُو آغا** معروفاً في كل أنحاء كُردستان، إنه كان مشهوراً بشجاعته الأسطورية بين رجال القبائل في العراق وبلاد فارس،

ولم يختلف الأمر على الكُرد حينما حلّ الترك السلاجقة والعثمانيون محلّ الروم في السيطرة على آسيا الصغرى، إذ فرضت الضرورات الجيوسياسية على الترك أن يعملوا وَفق الستراتيجية الرومية (البيزنطية) ذاتها، ويعملوا بكل وسيلة للسيطرة على الجغرافيا الكُردية، وفي ضوء هذه الحقائق يمكننا فهْم خلفيات الصراع التركي (العثماني) والفارسي (الصفوي) في كُردستان وعلى كُردستان، وفهم سبب استمرار الكُرد في إطلاق صفة (رومي) على الأتراك– المترجم.

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

إضافة إلى أنه كان مربّياً كبيراً للماشية، وفي كل عام، مع بداية الصيف، كان التجار العرب من حلب ودمشق يزورون الهضاب الباردة في كُردستان وأرمينيا، ليشتروا قطعاناً كاملة من الأغنام والماعز والجياد والأبقار، وكان زعماء العشائر يكسبون دخلاً وافراً من الذهب.

غير أن بشار آغا كان يرفض دفع الضرائب للغزاة (رومي) المتطفلين؛ أي الحكومة التركية، إنه كان يدافع عن تلك المنحدرات، حيث كانت قطعانه ترعى في الوديان، بينما كان رجاله يزرعون الحبوب في الأراضي الصالحة للزراعة، والعائدة له بالوراثة.

لم يكن بشار آغا يقبل أي قانون سوى قانون قبيلته، ولهذا لم يكن يعدّ نفسه ملتزماً بضريبة الأرض أو الأغنام للغزاة (رومي) الملحدين حسب رأيه، أو أن يقدّم العون لجيشهم، إنه كان نصيراً للعاجز والفقير ضد الظالم واللص، رغم أن رجاله كانوا ينحدرون أحياناً من معاقلهم الجبلية، ويهاجمون القوافل التي تمر ذهاباً وإياباً بين سوريا والعراق وكُردستان وأرمينيا ويسلبونها.

وبعد ثورة الأتراك الشباب (حزب تركيا الفتاة) عام (1908 م)، كما ذكرنا من قبل، بدأت الحكومة بحملة منظمة، ولاسيما ضد القبائل الكُردية التي ثبت أنها كانت موالية للسلطان المخلوع **عبد الحميد الثاني**، والتي كانت تتمرد خلال السنوات العشرين الماضية.

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

وفي أقبية القضاة الأتراك، في مدن مثل ديار بكر وبِتْليس[1]، كانت هناك أكثر من مئة مذكرة استدعاء موجهة ضد بشار جَتو آغا وأولاده الأربعة، لكن السلطات كانت أعجز من أن ترسلها إليهم، ولو تجرأ ضابط أو دركي على الاقتراب من منزله ما كان ليعود حيّاً أبداً. لكن في أيلول/سبتمبر عام (1908 م)، وبطريقة ما، نجحت السلطات التركية في إيقاع أحد أبنائه وحفيدٍ له في المصيدة، وذلك في أحد الوديان الواقعة شمالي ديار بكر، وسجنتهما في إحدى زنزانات المدينة.

كان **بشار جَتُو آغا** يبلغ الستين من العمر، وكان ذكياً، خفيف الحركة، ممتلئاً بالنشاط، مثل الصقور الجبارة على قمم جبال طوروس، وكان غاضباً بشدة عندما سمع نبأ أسر ولده وحفيده وسجْنهما بخدعة تركية دنيئة، فأرسل رسائل سرية إلى أصدقائه المقربين من غير الأتراك، في ديار بكر والموصل وبدليس، وكانت مقاطعته تابعة للإقليم الأخير، رغم أنها كانت أقرب إلى الإقليمين الأولين، وتوعّد في رسائله بثأر أبدي، وعبّر عن ازدرائه العنيف للمحتالين الغزاة (رومي).

كما تذكّر **بشار جَتُو آغا** أنه خلال الحرب الكُردية- التركية في الثلاثينات من القرن السابق[2]، قام الجيش التركي المنظم على أسس

1 – بتليس هي مدينة بَدْليس، وسنذكرها بهذه الصيغة في الصفحات التاليات– المترجم.

2 – القرن التاسع عشر – المترجم.

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

حديثة بقصف معقل عائلته بالقنابل، فدمروه وقتلوا جدّه، ولم يتورعوا عن قطع أذرع الناس الأبرياء وآذانهم.

وكان ثمة طريقان عمليان للقوافل التي تنطلق من سوريا إلى الوادي الأوسط لدجلة، من مدينة ديار بكر (آمد) إلى منابع النهر العليا، ولا سيما إلى مدن مثل بدليس وسِيرت، وقد استطاع بشار جَتو ورجاله أن يسيطروا بسهولة على هذين الطريقين، بين ديار بكر وبدليس، وهذا ما كانوا قد فعلوه مرات عديدة في الماضي.

وفي تلك الأيام المضطربة للثورة كانت الحكومة التركية في استانبول حريصة جداً على اختيار ضباطها الكبار، وكانت تغيّر ولاة المقاطعات باستمرار، خوفاً من أن يتحولوا إلى متمردين، ولا سيما في الأقاليم البعيدة عن العاصمة، ولذلك أُرسل إلى بدليس، في أوائل عام (1909 م) شاب تركي، ليكون حاكماً عاماً، وكان قد درس في باريس عدة سنوات.

وبعد أن استقر الحاكم الجديد في منصبه، أرسل في طلب زوجته وبعض الأثاث المنزلي من إستانبول، فسافرت عن طريق البحر الأبيض المتوسط، ثم دخلت كُردستان عبر سوريا، لكن رحلتها توقفت في ديار بكر نظراً لانعدام الأمن في الطرق الرئيسية، ولا شك أنه كان للزعيم بشار جَتو نصيب في السلب المستمر على طرق القوافل.

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

وعلى أية حال سمع بشار چَتو بالمأزق الذي وجدت فيه زوجة الوالي نفسها، وقرر أن ينتقم لنفسه بتوجيه أكبر إهانة يمكن تصورها إلى الغزاة (رومي)، وفي الفرصة المؤاتية أرسل أشجع رجاله إلى النقاط المجاورة لطرق القوافل الرئيسية، انتظاراً لقدوم زوجة الوالي، وكان الوالي نفسه يدرك تماماً مدى الخطر الذي يهدد الطريق، فأرسل حوالي خمسة عشر ضابطاً مسلحاً، ليرافقوا قافلة زوجته من ديار بكر إلى بدليس.

وفي الأسبوع الأول من أيلول عام (1909 م) انتشرت الأخبار في الأقاليم الشرقية من تركيا بأن قطاع الطرق الكُرد خطفوا سيدة (خانم) من إستانبول (زوجة الحاكم العام لبدليس)، وحملوها معهم إلى الجبال. وتأكد فيما بعد أنه على بعد أربعين ميلاً من شمال غربي ديار بكر، وعند عبور النهر، انقضّ رجال بشار چَتو على قافلة زوجة الوالي في وضح النهار، وجرّدوا الضباط المرافقين من السلاح دون أن يطلقوا رصاصة واحدة، ثم أخلوا سبيلهم، وقادوا القافلة كلها، بما فيها زوجة الوالي والوصيفات والدوابّ وسائقيها، إلى معاقلهم الجبلية.

وفي اليوم التالي لتلك الحادثة شاهدتُ الوالي وقد تغلّب عليه القلق، وانتابه الشعور بالخجل والعار، وراح يندّد بالظروف البربرية السارية في البلاد، وبالأخلاق الوحشية للناس. وفي حربهم ضد الألبان، وفي حربين أخريين ضد العرب، لم يستطع الحكام الأتراك الجدد خوض الحرب على نطاق واسع ضد القبائل الكُردية، إن جيشاً كبيراً هو وحده

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

القادر على قهر كُردستان. ولقد أعطاني الحاكم الجديد الانطباع بأنه قلق على سلامة كراسيه المستوردة من (ڤينّا)[1]، وعلى أثاثه المصنوع له خصيصاً في محل لاڤونتين Levanine في إستانبول، أكثر من قلقه على زوجته ووصيفاتها، ولعل هؤلاء الترك المتعلمين كانوا يأملون في أن يمدّنوا هذا البلد المتخلف بالمستوردات الأجنبية.

وفي الربيع التالي سنحت لي الفرصة لمقابلة زعيم العشيرة نفسه **بشار چَتُو**، وقد قال لي صديق قديم كان يحب صيد الخنازير البرية بالبنادق الإنجليزية: لا طمع للزعيم الكُردي بشار چَتُو في نساء (الروم) الغزاة، ولا في الأثاث الذي كان سريع العطب في أول رجّة قوية كأنه القصب. وقال لي ذلك الصديق أيضاً: لقد أخبرني بشار چَتو، وعيناه تبرقان غضباً وعزماً، ويهتز جسمه انفعالاً:

" **لا نريد هؤلاء الغزاة بيننا، نحن نستطيع أن نحكم أنفسنا كأجدادنا الذين عاشوا هكذا منذ أيام آدم. يجب أن يرحل الغزاة، ولن يستريح حفدتي أبداً حتى يرحل الغزاة** ".

وعندما توسّط شيخ كبير من شيوخ المنطقة، وكان زعيماً دينياً يتمتع بمكانة رفيعة لدى زعماء العشائر الكُردية، أطلق بشار چَتو سراح زوجة الوالي أخيراً، وأعيدت إلى زوجها دون أن تُلمس أو يصيبها أذى، مقابل إطلاق سراح نجل وحفيد بشار چَتُو من السجن في ديار بكر.

[1] – عاصمة النمسا– المترجم.

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

وقد تم هذا طبقاً للقانون الشفوي للشرف، ذلك القانون الذي كان سائداً بين رجال الشرق القدامى، فالرجال والنساء الذين يطلبون الملاذ الآمن تحت سقفك ينعمون بثقة مقدسة ومباركة من الله، وبشار چَتو، المحامي المخلص لذاك الدستور العريق، لم يكن ليتصرّف بطريقة أخرى غريبة، أما الأثاث المستورد من **فينّا** للحاكم العام فكان محط التسلية والاستهزاء في الأقاليم المجاورة، إذ تكسّر معظمه وأصبح قطعاً لدى حمله في الممرات الجبلية العالية، الأمر الذي جعل الحاكم المتنوّر يشعر بالأسى.

أما الزعيم الأسطوري بشار چَتو فقد بقي متحصّناً في معقله الجبلي، وخلال الحرب الكُردية – التركية عام (1930 – 1931 م)، التحق مع كل قواته بالمعركة من أجل استقلال كُردستان، واستطاع أن ينهك القوات التركية النظامية في الجبال الواقعة شمالي مدينة ديار بكر طوال أشهر عديدة، وعلى أية حال فقد غُرّر به في سنة (1931 م)، وجُرّ في ظروف غامضة إلى فخ نصبه له الأتراك، وقُتل بشكل بشع مع ثلاثة من أبنائه.

إن حياة هذا الزعيم المجهول تماماً في العالم الخارجي أعجوبة بحد ذاتها، وهي ذات أهمية عظيمة، لقد كان شخصية أسطورية في شبابه، وكان سيد واديه، يلبّي كل نداء قومي كُردي، إنه أحسّ بالحاجة إلى الوحدة في شيخوخته، وألقى بنفسه قلباً وقالباً في النضال من أجل

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

الاستقلال الوطني، وقد قتل وهو فوق الثمانين من عمره. إن الشعب الكُردي يستيقظ الآن على الشعور الوطني، وهو شعور مفعم بالأمل.

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

الفصل الثاني

التّشويه المُدَنَّس للشَّعب الكُردي

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

1

الكُرْد: رِحلةٌ إلى البِدايات

لا توجد، في النصف القديم من الكرة الأرضية، سلالة بشرية كانت عرضة للظلم باستمرار، وأسيء فهمها كالشعب الكُردي، ومنذ فجر التاريخ ربما لا يوجد شعب في العالم يسكن منطقة جغرافية محددة، كان ضحية النوايا السيئة على الدوام مثل الشعب الكُردي. إن هذه الحقيقة يجب أن تؤكَّد في البداية، كي لا يتم تحريف المشكلة التاريخية، ولئلا تُناقَش القضية الكُردية على نحو سطحي كما هو الأمر في أيامنا هذه.

إن بعض أقدم الملوك القدامى للمدن السومرية، وملوك أكّاد وبابل، وحتى اكسنوفان Xenophan قائد المرتزقة الإغريق العشرة آلاف[1]، وصفوا، بلغة سطحية وإشكالية، تعاملهم مع أولئك الجبليين الشديدي المراس، ولعل المواجهة التي لقيها حكّام تلك الممالك القديمة، ومن

[1] - يقصد الكاتب عودة المرتزقة الإغريق العشرة آلاف بقيادة اكسنوفان سنة (401 ق.م)، إنهم عادوا من جنوبي كُردستان إلى اليونان عبر شمالي كُردستان فالبحر الأسود، وكان الأمير الأخميني كورش الصغير حاكم ولاية آسيا الصغرى قد استعان بهم لمحاربة أخيه الملك أردشير (ارتاكسركسيس) الثاني، للفوز بالعرش الملكي، ودارت المعركة في كوناكسا قرب بابل سنة (401 ق.م)، ولقي قورش (كورش) مصرعه، فتراجع المرتزقة اليونان العشرة آلاف– المترجم.

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

بعدهم المرتزقة الإغريق المنسحبون، على أيدي الكُرد، كانت مجابهةً أقسى مما اعتادوا عليه في ظروف مشابهة؛ ومع ذلك فإن تلك السجلات القديمة التي تحدّثنا عن سلوك الكُرد، لا تدعم أبداً الصورة المختلقة التي أُلصقت زوراً بالكُرد في العصر الحديث.

ومنذ عهود ملوك آشور الأقوياء، ومروراً بالمغول، وانتهاء بالترك والفرس، أُلصقت بالكُرد صفات لزمتهم إلى الوقت الحاضر. وباستثناء ما كتبه بعض الزوار الأجانب لكُردستان خلال القرون الثلاثة الأخيرة، وبعض المذكرات التي تدور حول تجارب غير سعيدة لأشخاص قاموا برحلات إلى كُردستان، يمكن القول باطمئنان: إن الشعب الكُردي يتمتّع بسمعة طيبة في الماضي والحاضر، شأنه في ذلك شأن كل الشعوب الأخرى. ولعل الخطأ الأساسي يكمن في طريقة حياة الشعب الكُردي، فهي حياة لا تعرف الخضوع، كما أنهم في عداء دائم مع المتسلطين؛ سواء أكان المتسلط فاتحاً أم جاراً إمبراطورياً.

لقد اعتادت العشائر الكُردية بشكل وراثي، ولقرون طويلة، أن تحكم نفسها ذاتياً، وتستقل بأراضيها، وهي لا تعدّ من الخطأ أن تقاوم الحكام الأجانب بكل الوسائل المتاحة، وقد حاربوا الإمبراطوريات الجبّارة والغزاة العُتاة بالأسلحة القديمة، مثل القوس والحربة والمِقلاع، وعندما اختُرعت البنادق ذات الطلقات السريعة، في العصر الحديث، لم يستطيعوا الإفادة منها كما استفادت منها الإمبراطوريات المجاورة، ولا سيّما تركيا وبلاد

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

فارس، ووجدوا أنفسهم في موقف غير متكافئ مع جيرانهم، وبقي الأمر كذلك حتى القرن الحالي[1].

وقبل الخوض في المعالم الأساسية لجغرافية كُردستان من المناسب أن نلقي نظرة على البدايات التاريخية للشعب الكُردي؛ أين ومتى ظهر اسمهم للمرة الأولى في تاريخ الحضارات الشرقية القديمة؟ ومن المناسب أيضاً الوقوف عند مصطلح (كُرد) ترى ما هو؟

تفيد الوثائق الأدبية ظهور اسم (كُرد) للمرة الأولى في الكتابات التي دُوّنت باللغة البهلوية على شكل كُرْد kurd أو كُرْدان kurdan[2]، ويذكر **أرتخشير** پاپكان Atakhshir Papakan[3]، مؤسس الدولة الساسانية الفارسية عام (226 م)، اسم ماديج Madig ملك الكُردان أو الكُرد من بين بعض خصومه. ويبدو أن الملك الساساني أرتخشير، مدمّر العرش البارثي[4]، حوّل الاسم القديم **گوتي** (جُوتي) Guti إلى **كُرد**

---

1 – المقصود: القرن العشرون. المترجم.

2 - Darab Peshotan Sanjana: Karnamakh-i Artkhshir-I Papakan, 1896. Page 22 V . (= Kurdan Shahi Madig).

وقد ترجم نولدكه الكتاب نفسه إلى الألمانية تقريباً في الوقت الذي ترجمه Sanjana، وطرح السؤال نفسه.

3 – هكذا جاء الاسم في الأصل، والمشهور (أردشير)– المترجم.

4 – البرث (يسمّون: بارت، أشگان، أرشاك)، أسرة آريانية، حكمت غربي آسيا بعد السلوقيين اليونان بين سنتي (249 ق.م– 226 م)، وذكر الدكتور جمال رشيد

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

kurd، وقد اقتبس المؤرخون المسلمون الكبار، أمثال **الطَّبَري** و**المَسْعودي**، هذا الاسم من العهد الساساني، ووصل إلى العصور الحديثة على هذا النحو (كُرْد– kurd).

إن الاسم التراثي (كُرد) Kurd صحيح إذا وضعنا التأويلات الفارسية والتركية جانباً، وقد اشتُق اسم كُرد Kurd من أرض ومملكة گوتيوم (جُوتيوم) Gutium[1] ومن شعب **گوتي** Guti، وذلك بحذف حرف الراء R بعد حرف العلة u (Guti = Gurt)، وهذه قاعدة لغوية تطبّق بشكل عام على كل اللغات الهندو– أوربية، وخاصة الشرقية منها، مثل الكُردية والأرمنية والسنسكريتية والإغريقية.

وقد أظهرت الكتابات المسمارية المدوّنة باللغة السومرية أن أرض گوتيوم Gutium كانت واحدة من أقدم الممالك المستقلة في الشرق القديم المتمدن، وكانت معاصرة لسومر وأكّاد وعيلام وأرمينيا.

وظهرت الكتابات المسمارية التي نشرت وفسّرت اسم أرض گوتيوم للمرة الأولى في لوحة قديمة مدوّنة من قبل الملك **لوغال– أنّي موندو** Lugal –Anni – Mundu ملك المدينة السومرية (**أداب**) Adab،

أحمد أن البرث صنف من شعب سكيث (سكيس= سقيذ). انظر: مجموعة من الباحثين: كركوك، ص 165 – المترجم.

1 – سنقتصر من الآن فصاعداً على استخدام الاسم گوتي وگوتيوم بدلاً من جوتي وجوتيوم– المترجم.

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

والتي تحمل اليوم اسم بِسْمايا Bismaya في حوض الفرات بجنوبي العراق، في تلك اللوحة يذكر ذلك الملك السومري الأراضي الممتدة إلى گوتيوم مع أراضي سُوبارتو Subartu وعيلام Elam. والحقيقة أن معنى اللوحة ليس واضحاً تماماً، لكن بمقارنة محتوياتها مع معلومات أكّادية لاحقة خرج العلماء بأن الملك السومري ادّعى نصراً على الممالك المذكورة، وسمح عندئذ أن يدعو نفسه (سيد الجهات الأربع للعالم)[1].

والحق أنه لا يمكن التأكد من تاريخ هذه المرحلة بشكل علمي دقيق؛ إذ لا تتوافر مصادر متعاقبة للمعلومات التي تؤرخ لحكم ملك (أدب) السومري، وثمة اعتقاد أن هذا الملك ينتمي إلى المملكة الثامنة بعد الطوفان، وأنه حكم تسعين عاماً[2]، وحسب التاريخ القصير الذي وضعه لاحقاً **سدني سميث** Sidney Smith[3] فإن تاريخ هذا الملك السومري ربما وُضع حوالي (2350 ق.م).

وتؤكد النصوص المتوافرة القليلة أن مملكة گوتيوم كانت توجد في القرن الرابع والعشرين قبل الميلاد تقريباً، ويتطابق موقع تلك المملكة مع

---

1 - A. Ungand. Subartu… (1936/pp. 36 et sqq.)

2 - S.H. Langdon: " The Third Dynasty of Kish". In The Cambridge Ancient History. Vol. 1 (1923) pp. 369 sqq. 390.

3 - Sidney Smith: Alalakh and Chronology: 1940. p. 29.

ينبغي أن يُحسب عهد الملك السومري آداب في قائمة ملوك السلالة البابلية الحاكمة الأولى.

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

كُردستان اليوم، وكانت لها أهمية كافية لتُصنّف من قبل الملك السومري كمملكة مستقلة مع الممالك الأكبر والأشهر (سُوبارتو وعِيلام). وتظهر أرض گوتيوم بعد ذلك في مجموعات من النصوص المتكهّنة بالشؤم، وفي التواريخ السنوية والنصوص الفلكية، على أنها معادية دائماً للمدن السومرية الصغيرة المبعثرة في السهول الغرينية بجنوبي بلاد الرافدين.

وكان ملوك گوتيوم الذي احتلوا بابل، وحكموا البابليين وأراضي الآشوريين Assyria فيما بعد، مستعدين دائماً لمهاجمة المجتمعات المستقرة في غربي جبال زاغروس، مكتفين أحياناً بقوتهم فقط، ومتحالفين غالباً مع العيلاميين وبلاد تُورُوكُّو Turukku[1] وسُوبارتو، أو بلدان مجاورة أخرى، والنصوص التي تعد، بسبب سمتها الدينية، من الوثائق المدوّنة الأكثر دقة في تاريخ الممالك الشرقية القديمة، غالباً ما تشير إلى غارات شعب گوتيوم على المدن الأكّادية والسومرية، وتظهر المعلومات الواردة في تلك النصوص أن مملكة گوتيوم كانت تحتفظ دائماً باستقلالها في الجبال.

1 – ذكر الدكتور جمال رشيد أحمد أن قبيلة تورروكو هي گُوتية، وأنها من أقوى القبائل التي قاومت النفوذ الآشوري والنفوذ البابلي، وأن أقدم سكان كركوك كانوا على الغالب من التورروكيين الذين بنوا قلعتها. مجموعة من الباحثين: كركوك، ص 169 ، هامش 2– المترجم.

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

وفي تاريخ محدد لا غموض فيه يذكر **شارل غاليشارّي** Sharlgalisharri، ملك أكّاد (حوالي عام 1900 ق.م) وخليفة **نارام سِين** Naramsin، حروباً خاضها ضد گوتيوم، ويفتخر بأنه أسر **شارلاك** Sharlak ملك گوتيوم، وليس ثمة ما يحملنا على الشك في هذا التقرير.

وعلى الرغم من نجاحات فردية كهذه تظل الحقيقة القائمة هي أن السومريين والأكّاديين، وكذلك الآشوريون الأقوياء في القرون اللاحقة، كانوا يشنّون الحروب ضد گوتيوم، وسكان الجبال الآخرين، كوسيلة لمنع غاراتهم على السهول الأكثر خصوبة في بلاد ما بين النهرين.

وقد نوقش موقع گوتيوم من قبل كل باحث في هذا الموضوع، وجرت تلك المناقشة على ضوء المعلومات القليلة غير المترابطة التي يمكن جمعها من الوثائق، وملخّص ما يورده **كامبل تومسون** Kampbell Thomson[1] أنه يحدّد گوتيوم برباعي أضلاع، محاط بالزاب الأسفل، ونهر دجلة، ومرتفعات سليمانية، ونهر ديالا، وكانت عامتها تقع قرب كركوك، وتسمى (أرّابخا) Arrapkha في تلك الأيام، وهي على بعد حوالي ثمانين ميلاً شمالي بغداد، وتعدّ مركزاً مزدهراً لاستخراج النفط في الوقت الحالي.

1 - The Cambridge Ancient History. Vol. 111, pp. 218, 223 et passim: Cf. Sidney Smith: Early History of Assyria up to 1000 B.C. (1928). The word Gutium. Index.

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

إن سقوط الإمبراطورية الآشورية (612 – 606 ق.م)، التي كانت حتى ذلك الحين تحكم گوتيوم في التلال الواقعة شرقي دجلة برخاوة، حرّر شعب گوتي من كل القيود، وفتح له الطريق للتوسع في كل الاتجاهات.

وعندما أسر الملك **سيروس** (قورش الثاني) Cyrus الفارسي الأخميني البابليين، كان فرسان الكُرد الگوتيين يقاتلون في الصفوف الأولى للجيش الفارسي عام (538 ق.م). وإن اكسنوفان Xenopan، قائد العشرة آلاف إغريقي وجد العشائر الكُردية (الكاردوخية) محصّنين في ممرّات جبال طوروس، من مدينة الموصل إلى نهر كنتريتس Kentrites (بوتان – صو) الواقع في شرقي دجلة، والذي يشكّل الحدود بين أرمينيا وكاردوخي[1].

---

1 – الملاحظ أن الكاتب يعدّ أجزاء كبيرة من شمالي كُردستان جزءاً من أرمينيا، منطلقاً تارة من اعتبار الخالديين (أورارتو) أجداداً للأرمن، ومستدلاً تارة أخرى بحدود إمبراطورية أرمينيا في عهد الملك الأرمني ديگران الثاني (ديگران الكبير). والمؤكَّد أن شعب أورارتو كان من جملة القبائل الآرية التي هاجرت إلى غربي آسيا ضمن الهجرات المتلاحقة، واستقرت في المنطقة الشمالية من ميديا، وكانت بلاد أورارتو تمتد من القوقاز إلى بحيرة وان، واستمر وجود شعب أورارتو من القرن الثالث عشر قبل الميلاد إلى القرن السابع قبل الميلاد، إذ اندمج في الدولة الميدية بدءاً من سنة (612 ق.م)، وقال **وليام لانجر** بخصوص سكان أورارتو: " **يظهر أن العنصر الأساسي كان من الحوريين** "، وأكد أن الصلة وثيقة بين لغة أورارتو ولغة الحوريين، وكذلك الأمر بالنسبة إلى أسماء الآلهة. انظر وليام لانجر: موسوعة تاريخ العالم،87/1، 88.

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

والبيانات التي يوردها شاهد عيان مثل اكسنوفان تظهر بجلاء أنه طوال عهد الإمبراطورية الآشورية لم تحدث تغييرات كبيرة في التوزيع العرقي للشرق القديم، لقد رسّخ الآشوريون المواقف السياسية، بالإضافة إلى بقاء الديموغرافيا العرقية في الشرق القديم على حالها حوالي سبعة قرون (1300– 600 ق.م)، وأغلب الآحيان كان ملوك آشور ينقلون سكان مدن بأكملها من الغرب إلى الشرق، والعكس بالعكس. ولكن الأقوام المعتادة على الإقامة في الجبال المحيطة نادراً ما كانت تخضع للنقل الإجباري إلى السهول المنخفضة.

ومعروف أن الميتّانيين هم فرع من الحوريين، والحوريون فرع كبير من فروع أجداد الكُرد. أما بخصوص الأرمن فقد جاؤوا إلى منطقة القوقاز من آسيا الصغرى، وذكر **وليام لانجر** أنهم ربما كانوا قبيلة من الفِريجيين، وأنهم احتلوا منطقة أورارتو في القرن السابع قبل الميلاد، واعتنقوا الزردشتية دين الفرس، وسُمّيت المنطقة التي استقروا فيها باسم (أرمينيا)، وبين عامي (612 – 549 ق.م) كانت أرمينيا تحت حكم ملوك ميديا، وصارت بين عامي (549 – 331 ق.م) تحت حكم ملوك الفرس، وكانت مقاطعة يديرها أحد أعضاء الأسرة الفارسية المالكة. (انظر وليام لانجر: موسوعة تاريخ العالم،89/1).

أما مسألة أن أرمينيا كانت في عهدها الإمبراطوري تحكم أجزاء من كُردستان فلا يعني أن تلك المناطق كانت أرمنية، ولو صحّ ذلك فينبغي أن تعدّ أرمينيا نفسها جزءاً من ميديا ثم جزءاً من بلاد فارس، لأنها كانت تابعة حيناً للإمبراطورية الميدية، وحيناً للإمبراطورية الفارسية، ولو صحّ ذلك أيضاً لوجب أن نَعدّ سوريا الكبرى ومصر وشمالي إفريقيا جزءاً من إيطاليا، لأن الرومان حكموها أكثر من ستة قرون قبل الإسلام– المترجم.

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

إن هجرة شعوب كاملة من قارة إلى قارة، تلك الهجرة التي يتخذها المؤرخون التقليديون عقيدة أساسية، يبدو أنه ليس لها أساس واقعي، على الأقل فيما يتعلق بالمجموعات العرقية الحقيقية للشرق القديم. إن الكُرد والعرب والأرمن والآشوريين وغيرهم سلالات عريقة تعيش في مواطنها الأصلية كما كانت منذ عصور ما قبل التاريخ.

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

2

المملكة الكُردية الگوتية الأُولى في بابل

(2300 – 2175 ق.م)

أنجبت مملكة أكّاد شخصيتين عظيمتين فقط خلال حكمها الذي دام قرابة ثلاثة قرون، أحدهما كان **شاروكين** (سرجون) Sharukin الفاتح، وفيما عدا ذلك فإن الفوضى والحروب الأهلية، وخاصة في النصف الثاني من هذه الفترة، بدأت تعمّ تقريباً طوال عهد المملكة السامية التي انصبّ عليها الكثير من المديح.

وقد اكتُشفت لوحة تصف الأحوال العامة، فتقول بأنه لا أحد كان يعرف من هو الملك ومن ليس ملكاً. ومن غير المعقول أن يراقب رجال گوتيوم الجبليون هذه الأحوال في الأراضي المنخفضة، ولا يزحفوا من معاقلهم الجبلية، بهدف السيطرة على السهول والمدن.

وهذا ما حدث تحديداً.

إن أحد ملوك گوتيوم الأقوياء– ربما يدعى **أمبيا** Ambia– فرض سلطته على بابل كملك شرعية، وأطاح بالأسرة بالسلالة الأكّادية الحاكمة، وهذا ما حدث تماماً بعد حوالي ألفي عام، عندما هبط **سيروس**

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

(قورش الثاني) الأخميني من مرتفعات أنزان (سوسا) بمساعدة فرسان الكُرد الگوتيين، وسيطر على بابل عام (538 ق.م) دون أيّ قتال.

إن السلالة الگوتية حكمت أكّاد وبابل مئة وأربعاً وعشرين سنة وأربعين يوماً، (حوالي 2264– 2137 ق.م)[1]، وتتابع واحد وعشرون ملكاً گوتياً على الحكم خلال قرن وربع من الزمان. وخلال تلك الفترة أعلن أحد ملوك تلك السلالة الگوتية، وهو **إيرّي داپيزير** Erridapizir، نفسه ملكاً للأركان الأربعة في العالم. وبالرغم من هذا الادّعاء سقطت مملكة گوتيوم على يد **أوتوكهيجال** Utukhegal مؤسس السلالة الخامسة في **أوروك** Urak (ورقا اليوم) وملكها، وهي مدينة– دولة سومرية ذات شهرة كبيرة.

وقد جاء وصف حكم تلك المملكة الكُردية الگوتية الأولى بصورة غير طيبة من قبل المدوَّنات السومرية المعاصرة لها، وجاء في تلك المدوّنات أنه حينما بسط الملوك الگوتيون نفوذهم على سهول بابل شرعوا يسلبون ويحرقون ويدمرون مدن سومر وأكّاد المزدهرة، إنهم نهبوا كنوز المعابد، وحملوا تماثيل الآلهة والقديسين إلى عاصمتهم **أرّابخا**[2]،

1 – الصواب أن الگُوتيين حكموا بلاد سومر وأكّاد، وما كان البابليون قد ظهروا حينذاك، وطبعاً يريد الكاتب (المنطقة التي سمّيت بعدئذ بابل)، وبحسب التاريخين المذكورين تكون مدة حكم الگوتيين في سومر وأكّاد (127) سنة وليس (124) سنة– المترجم.

2 – أرّابخا هي كركوك– المترجم.

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

وتعالى النواح، وأقيمت الصلوات في المعابد للخلاص من قبضة أولئك الحكام القساة.

لقد دُمّرت مدن بأكملها، وأُخذت النساء من أزواجهن، فعمّ البكاء والأنين كل أرجاء الأرض، تتّين الجبل وعدوّ الآلهة دمّر المدن، ونشر الرعب في كل أنحاء الأرض ... الخ. ويُجمع كل المؤرخين الحديثين على أن فترة الحكم الگُوتي في سومر وأكّاد كانت قاسية، وكان الگوتيون قساة ومدمّرين[1].

هكذا قُدّمت صورة الگوتيين، ومن العدل، على أية حال، أن يتساءل المرء إذا كان إطلاق هذه الأحكام على مملكة گوتيوم غير متأثر بتجارب الرحالة في القرون الثلاثة الماضية. وبفرض أن الشعب الگوتي، أو على الأقل حكامهم وزعماؤهم، كانوا كذلك، فإنهم قد انسحبوا بعدئذ إلى الجبال من حيث أتوا، ليجمعوا قوتهم وينتظروا فرصاً أخرى.

هذا ولا توجد مصادر تقدم لنا المعلومات المتتابعة، وتسجل تسلسل الأحداث التاريخية، وتخبرنا عن التاريخ اللاحق لگوتيوم، ومن السذاجة الزعم بأن الشعب الگُوتي لم يشنّ الغارات على المدن والسهول في أثناء حكم السومريين والمملكة البابلية الأولى.

---

1 – اكتُفي هنا بذكر حكومة واحدة كمثل لبقية الحكومات.

G. Contenau: Manuel d'Archéologie Orientale, Vol. 1 (1928) P. 133; idem: Vol. 11 (1931) P. 701 et Passim.

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

وفي الحقيقة تشير ألواح فلكية عديدة ونصوص دورية إلى الخطر الذي كان يهدد كلاً من أكّاد وبابل. وتقول نبوءة غيبية لم تؤرخ لسوء الحظ: "**أسلحة گوتيوم سوف تدمّر أرض بابل** "[1]. بينما تتنبّأ نصوص فلكية أخرى بمصير گوتيوم كما يلي: " **سقوط گوتيوم سيحدث بالسلاح**"، "**أرض أكّاد سوف تلتهم أراضي گوتيوم وعيلام المعادية خلال ثلاث سنوات** "، وهذا دواليك.

إن هذه الفقرات المقتبسة من ألواح تعود إلى تلك الفترة تُظهر بوضوح العلاقات المتبادلة بين مملكة بابل في السهول و گوتيوم في الجبال. وقد استطاع **حمورابي** Khammurabi واضع القانون، خلال حكمه المزدهر الناجح الذي امتد أربعين عاماً[2]، أن يُبقي شعب گُوتيوم

---

1 - A. Ungand: Subartu, P. 87.

الكلمة البابلية الدالة على السلاح هي كاكّو Kakku، بينما الكلمة الدالة على السلاح في الكُردية الحديثة هي جاك Jak ؛ وفي الأرمنية الكلاسيكية والحديثة هي زانك Zenk، وثمة قليل من الشك في أن تكون هذه الكلمات الثلاث من مصدر واحد، ومن وجهة النظر التاريخية والإثنولوجية يبدو من الصعب الاعتقاد بأن اللغتين الأرمنية والكُردية تستعير كلمات أساسية كهذه من اللغة البابلية أو الأكّادية. إن أصل الكلمة قد يكون راجعاً إلى اللغة الحورية، اللغة الأقدم التي كان يتحدث بها سكّان أرمينيا وكُردستان والمناطق المجاورة لهما.

2 - كان حكم حمورابي بين سنتي (1792– 1750 ق.م)، بموجب حسابات سيدني سميث Sidney Smith التي أخذ بها معظم الباحثين.

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

محاصراً في الجبال. وكان ملوك هذه السلالة البابلية الأولى بناةً عظماء للقنوات والمعابد، ولكنهم قلما كانوا قادرين، كقوة عسكرية، على حماية أنفسهم من الجبليين الأقوياء حولهم.

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

3

الكاشِّيون يحكمون بابل

بعد موت **حمورابي**، وفي العام الثامن لحكم ابنه شامشو إيلّونا Shamshu- Illuna، هاجم الكاسّيت Kassite (الكاشّيون Kashshu) الجبليون بابل، ونهبوا المدن الفاخرة في السهول، وانسحبوا إلى مرتفعاتهم؛ وجدير بالذكر أن هؤلاء ليسوا شعب گوتيوم، بل هم شعب جديد يدعى كاسّيت Kassites، لقد بدأوا غزو بابل، وكانوا قبيلة كبيرة أو اتحاد قبائل، وكانوا يقيمون في جبال زاغروس شرقي بابل، وربما أن مواطنهم كانت تقع شمالي أرض عيلام مباشرة.

وتختلف آراء الباحثين قليلاً فيما يتعلق بهوية الكاسّيت (كاشّو)، ويبدو أنهم كانوا من الشعوب الجبلية ذاتها، كالقبائل الكُردية في لورستان بجنوب غربي بلاد فارس، في سلسلة زاغروس. أما اسمهم (كاشّو) الوارد في الكتابة المسمارية فربما يكون باقياً في اسم إقليم خوزستان الفارسي، إنهم كانوا من الشعوب الهندو– أوربية، وهم مقاربون جغرافياً وإثنولوجياً لشعب گوتيوم.

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

وقد دام حكم ملوك الكاشّيين في بابل حوالي أربعة قرون[1]، وهذه الأسرة الأجنبية الحاكمة هي الأسرة الملكية الثالثة التي حكمت بابل. وإلى حوالي ثلاثين سنة مضت كانت المعلومات المتعلقة بهذه المملكة ضئيلة وغير مفيدة، واعتُبر حكم الكاشّيين في بابل بربرياً وانتكاسياً كحكم گوتيوم في سومر وأكّاد، لكن اكتشافات النقوش والمواد المعدنية الفنية، في السنوات الحديثة، عدّلت النظرة إلى حكم الكاشّيين، وتبيّن الآن أنه كانت لهم مدافن عظمائهم، وكانت لهم آلهتهم التي تحمل أسماء مميّزة: Kashshu و harbe و Suriash و Shipak و Khud[2] و

1 – ذكر الكاتب قبل قليل أن حمورابي توفي سنة (1750 ق.م)، وقد ذكر **ول ديورانت** أن الكاشّيين حكموا بابل بعد ثماني سنوات من موت حمورابي، واستمر حكمهم ما يقرب من ستة قرون. وذكر **سبتينو موسكاتي** أن حكم الكاشّيين انتهى في بابل سنة (1160 ق.م)، وذكر **دياكونوف** أن حكمهم في بابل انتهي سنة (1171 ق.م)؛ وهذا يعني أنهم حكموا ستة قرون، وليس أربعة قرون فقط. انظر ول ديورانت: قصة الحضارة، 195/2. وسبتينو موسكاتي: الحضارات السامية القديمة. ص 69. ودياكونوف: ميديا، ص 131 – المترجم.

2 – إن خُود Khud أو خُودا Khuda يعني (الله) في الفارسية الحديثة، ومن الواضح أنها في الفارسية الحديثة كلمة مستعارة، ولم يُعرف بعد ما إذا كانت كلمة (خُود) Khud بمعنى (الله) وُجدت في البانثيون الإلهي في عيلام وگوتيوم.

[تعليق: خُودا Khuda من أشهر أسماء (الله) بالكُردية، وهو يعني بالكُردية: الموجدُ نفسَه (لم يَلِدْ ولم يُولَد) حسب المفهوم التوحيدي– المترجم].

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

Shimaliya التي كانت سيدة الجبال المشرفة، والتي تسكن القمة، وثمة آلهة أخرى غير هذه.

وإن عدداً كبيراً من المواد البرونزية الرائعة تمثّل الشخصيات الأسطورية، والعفاريت والحيوانات والجياد، ووجدت زخارفها منقوشة في أجزاء مختلفة من لورستان، وهي تعود إلى العهد الكاشي[1].

ولم يكن ملوك الكاشيين غافلين عن العواطف والعادات الدينية للشعب البابلي؛ إن **غانداش** Gandash ملك الكاشيين الأول، الذي حكم بابل حوالي سنة (1600 ق.م)، سمّى نفسه (ملك الممالك الأربع) وملك بابل، وإن إحدى منقوشاته باللغة البابلية تصوّر ذكرى احتفاله بذكرى استعادة معبد **إنليل** Enlil إله بابل، وحرص على أن يجمع ضرائب معابد بابل ومستحقاتها بشكل مناسب.

وإن ملكاً كاشياً آخر هو **أغوم الثاني** Agum، سمّى نفسه (ملك أرض گوتي)، بالإضافة إلى بلدان أخرى، وهذا يعني أن مملكة الكاشيين كانت قد أخضعت مملكة گوتيوم القديمة، وهذا ما كان يحدث مراراً خلال التاريخ الطويل للشعب الكُردي؛ إن قبيلة عظيمة كانت تحكم القبائل الأخرى كلما سنحت الفرصة، وتفرض سيادتها على كل الشعب.

---

1 - A. Godard: Les Bronzes du Loristan (1931). مع 68 صحن.

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

وخلال الفترة التالية من حكم الدولة الكاشّية في بابل، أو (كاردونياش) كما دعيت في الوثائق الدولية آنذاك، أقام ملوكها علاقات ودية مع القوى الإقليمية الكبرى حينذاك، ولا سيما مع المصريين والحثيين، وأيضاً مع الآشوريين ذوي النفوذ الصاعد في القرنين (14 و 15 قبل الميلاد)، وكان هناك تزاوج بين الأسر الملكية في كاردونياش ومصر.

إن كاداشمان– إنليل Kadashman- Enlil، أحد ملوك الكاشّيين، كان غالباً ما يطلب هدايا من الذهب من فرعون مصر في ذلك الحين. لكن تلك الفترة من العهد الكاشي– البابلي قلما تحسب في حياة الشعب الكُردي، لأن الكاشيين كانوا قد أصبحوا بابليين في نواياهم وأهدافهم.

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

4

بلاد آشور وكُردستان

حوالي (1360 – 606 ق.م)

كان لكل من الگوتيين والكاشّيين، حتى ذلك العهد، علاقات مع الدول والشعوب التي قلما كانت أقوى منهم، لذلك استطاعوا أن يعيدوا تأكيد استقلالهم التام باستمرار، بل استطاعوا أن يسيطروا في الظروف المناسبة على السهول الواقعة غربي جبالهم.

لكن مع ظهور الآشوريين طرأ تغيير جذري على الوضع العام في الشرق القديم، وليس في حوضي دجلة والفرات فقط، وما كانت تلك الظروف في صالح البلدان المجاورة، ولم يكن الآشوريون أقوياء بالرجال والاقتصاد والتقنيات وما إلى ذلك فقط، بل برزوا في الساحة الدولية على أنهم قوة عظمى جديدة، وبقوة مادية قلما تتكافأ مع ادّعاءاتهم.

إن الجزء الذي يعدّ مركز بلاد آشور كان يقع في المثلث الصغير المكوّن من مدينة آشور Ashur، ومدينة نينوى Nineveh، ومدينة أربيل Erbil، وعلى ضفاف دجلة الأوسط والسهل المفتوح، ولولا تمركز السلطة بقوة بين أيدي الرهبان ذوي العزيمة لما وصلت آشور أبداً إلى

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

هذه الكفاءة العسكرية، التي امتدت سبعة قرون تقريباً، تخللتها فواصل زمنية قصيرة وطويلة.

إن **آشور أوبالّيت الأول** Ashur – Uballit (1362– 1327 ق.م) هو المؤسس الحقيقي للقوة الآشورية، ويبدو أنه خلّد صرخته الحربية في منحوتات اكتُشفت حديثاً من قبل البعثة الإنجليزية للمتاحف[1]. وبعد ثلاثة وثلاثين قرناً أطلق الشعب الكُردي صرخة الحرب نفسها ضد الأتراك. وفي حملته ضد المملكة الكُردية– الكاشّية يخاطب **آشور أوبالّيت الأول** جنوده قائلاً:

" الآن اضغطوا بقوة على ملك الكاشيين.

ضعوا حداً لسطوته قبل أن يلقى موته المحتوم.

دمّروا قوّتهم التي منحتهم اسم الأبطال.

يا إلهي! اسحق عدونا الذي يسعى لأذانا باستمرار.

ويستمر في الشر، ويخطط يومياً لتدمير أرض گوتيوم.

إنه يشير بإصبعه: لا تَبقي!

---

1 - Sir. R. Cambill Thompson and R.C. Hutchinson: in Archaeologia, Vol. LXXIX (1929), P. 132, lines 13- 33.

في هذه الأيام، وتماماً بعد ثلاثة وثلاثين قرناً، يُطلق الشعب الكُردي الثائر الصرخةَ نفسها ضد الأتراك.

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

وخلف الآلهة ومساعديه،

بدأ ملك الجبهة الأمامية للجيش القتال صارخاً:

أنا آشور أوبالّيت، العملاق المدمر، ممزّق الفيالق!

محاربو آشور متحمسون للقتال.

يواجهون الموت صارخين: يا عشتار!

كم من الوقت يحتاجون،

ليلتقوا بالسيدة العذراء في خشوع "؟

وهلمّ جرّا.

وخلال أكثر من قرن (1362– 1242 ق.م)، كان على خمسة من ملوك آشور أن يشنّوا حروباً، بين الفينة والأخرى، ضد الكاشّيين الذين كانوا يشكلون تهديداً دائماً لسلطتهم على دجلة، إلى أن جاء الملك **توكولتي نينورتا الأول** Tukulti – Ninurta.

وفي السنة التي اعتلى فيها توكولتي نينورتا العرش استطاع إخضاع كل گوتيوم وبابل حتى الخليج الفارسي، وفي معركة ضارية تمكّن هذا الملك الآشوري من هزيمة جيوش الكاشّيين تماماً، وأسر ملكهم **كاشيتيلياشو الثاني** Kashtiliashu. ويذكر توكولتي نينورتا الأول (1242 – 1206 ق.م) في بعض منحوتاته بعض أسماء الأماكن في

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

أرض گوتيوم وكاشّو، وتلك الأسماء تمكّننا من تحديد الموقع الأصلي للشعب الكُردي بفرعيه گوتيوم وكاشّو على وجه التقريب.

ويذكر ملك الآشوريين أنه تقدم على رأس جيشه إلى الجبال المتمردة تول سينا Sina – Tul، بين مدن ساسيلا Sasila وماشْخاتْشارّي Mashkhatsharri وراء نهر الزاب الأسفل، ومن أراضي زوكوشكي Zukushki ولارلار Larlar إلى حدود گوتيوم ذات الامتداد الواسع. وبالرغم من الهزيمة الساحقة التي عاناها كاشيتيلياشو الثاني فقد استمرت مملكة كاشّو في وجودها المستقل لمدة قرن آخر من الزمان أو أكثر.

إن بابل التي كانت خاضعة حتى ذلك الحين للدولة الكاشّية تمرّدت عليها، واستعادت حريتها، وفي الوقت نفسه تقريباً انفتحت مملكة عيلام أيضاً على حياة جديدة. وبما أن كُردستان (گوتيوم وكاشّو) كانت محاصرة من كل الجهات بآشور وبابل وعيلام، فإنها أصبحت بالتدريج في طيّ النسيان.

وفي السنة الثالثة من حكم الملك الآشوري **آشور ناتسيرابلي الثاني** Ashurnatsirapli (881 ق.م) – ولعله أشرس ملوك الآشوريين– قام بهجوم وحشي على كُردستان، متحالفاً مع معظم قبائل أراضي زامُوا Zamua (گوتيوم)، وقد مال **نـــور أداد** Nur–Adad أمير داغارا

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

Dagara إلى دفع الجزية السنوية، وحينما كانت الجزية لا تدفع فإن ملوك آشور كانوا يزأرون كالأسود، ويهاجمون كالخنازير البرية.

لقد زحف **آشور ناتسيرابلي الثاني** باتجاه ممرّ بابيت Babite الجبلي، فبنت القبائل التي كانت بقيادة **نور أداد** جداراً على مدخل الطريق، لتمنع تقدّم الملك الآشوري، ولما عجز الملك الآشوري عن السيطرة على العقبة التي وضعت في طريقه، توجّه إلى الشمال الغربي، وهاجم القبائل التي تقطن جبل جُودي Gudi الذي يسمى (كِينيپا–نِيسير Kinipa-Nisir)، فسلب ونهب، وأحرق ثمانين حصناً، ثم هاجم حصن لارْبُوسا Larbusa العظيم، حيث دافع **كيرتيارا** Kirtiara آمر الحصن ببسالة رغم يأسه من النصر. وأخيراً خضعت زامُوا ولولوم (Lulume) للآشوريين، واضطرت إلى دفع الجزية.

وشُنّت غزوات مماثلة على جبال زاغروس، وتحققت انتصارات من قبل الملوك الآشوريين **شالما نصر الثالث** Shalmaneser (858–824 ق.م)، و**شامشي أداد الخامس** Shamshi-Adad (821– 810 ق.م)، و**تيغلات بيلاسر الثالث** Tiglat- Pileser (747 – 728 ق.م) ، و**سرجون الثالث**[1] Sargon (722– 705 ق.م)، و**أسر حدّون**

1 – الصواب: سَرْجون الثاني، إذ هو الذي حكم الإمبراطورية الآشورية بعد شَلْمناصر الخامس (727 – 722 ق.م)، ولا يوجد في قائمة ملوك الدولة الآشورية الأخيرة ملك

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

Asarhaddon (689– 668 ق.م)، وآخرين، ومع ذلك ظل الشعب الكُردي قوياً في مواقعه الحصينة، وإن گوتيوم التي باتت تذكر باسم ميديا ساهمت إسهاماً كبيراً في إسقاط وتدمير الإمبراطورية الآشورية عام (612 ق.م)[1].

باسم سرجون الثالث. انظر: دياكونوف: ميديا، ص 204. وأبراهام مالمات، حاييم تدمور: العبرانيون وبنو إسرائيل، ص 274 – المترجم.

1 – Sidney Smith: Babylonian Historical texts (1924), pp. 105,114, etc.

ونظراً لهَوَس هيرودوت بجعل كل شخص فارسياً فإنه جعل غوبرياس Gobryas الذي هو غوبارو Gubaru، فارسياً، وكذلك جعل آسپاثيانيسِ Aspathians الأرمني فارسياً، وجعل ماردونيوس Mardonius المنّاني Mannian الأصل ابناً لغوبرياس، وعدّه لذلك فارسياً أيضاً.

[تعليق: ذكر هيرودوت أن جوبرياس هو أحد القادة الفرس الستة الذين قتلوا سميرديس (گوماتا) الميدي وأخاه، وأفشلوا الانقلاب الذي قام به هذان الأخوان على الملك الأخميني قَمْبَيز الثاني سنة (522 ق.م)، بهدف إعادة الدولة الميدية التي أسقطها كُورش الثاني سنة (550/549 ق.م). انظر هيرودوت: تاريخ هيرودوت، ص 25.

أما ماردونيوس فذكر هيرودوت أنه ابن أخت الملك الفارسي الرابع أحشويرش بن دار الأول، وهو الذي شجّع أحشويرش على غزو بلاد الإغريق، وبعد أن فشلت حملة أحشويرش على الإغريق، واضطر إلى الانسحاب نحو آسيا الصغرى، كلّف ماردونيوس على رأس جيش ضخم بمواصلة قتال الإغريق، فقُتل في معركة بلاتيا سنة (579 ق.م). انظر: هيرودوت: تاريخ هيرودوت، ص 466، 659 – المترجم].

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

5

نهوض فارس وگوتيوم – كُردستان

(538 ق.م – 640 م)

في أسطوانة فخارية منقوشة سُجّلت باللغة البابلية، يفتخر **سيروس** Cyrus [1] مؤسس المملكة الأخمينية (538– 529 ق.م) بأن مردوخ إله مدينة بابل أجبر قبائل أراضي كوتو Kutu (گوتيوم Gutiume) على الخضوع تحت أقدامه. ومن الصعب أن يُعدّ هذا البيان الصادر من الملك الأخميني صحيحاً؛ لسبب بسيط هو أن بلاد فارس– وقد ارتقت حديثاً إلى قوة سياسية من المناطق الرملية المتاخمة للخليج الفارسي– نادراً ما امتلكت القوة الكافية لقهر مملكة گوتيوم الحصينة.

وبناء على ما ورد في كتابة (نقش) كورش نفسه فإن **أُوغْبارو** Ugbaru ملك گوتيوم الذي كان على رأس الفرسان الكُرد، هو أول من دخل مدينة بابل، وبعد ذلك بعدة أيام فتح سيروس (قورش الثاني) المدينة

1 – كورش الثاني ابن قَمبيز الأول، بدأ الانقلاب على الملك الميدي الأخير أستياگ (استياجيس) حوالي سنة (538 ق.م)، وانتصر عليه خلال (550/549 ق.م)، بالتعاون مع بعض كبار قادة الميد الذين خانوا الملك، وأقام الدولة الأخمينية الفارسية على أركان الدولة الميدية، وأمُّه هي (ماندانا) ابنة الملك الميدي– المترجم.

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

دون قتال. ولم تكن هذه المرة الأولى التي تحتل گوتيوم فيها بابل كما مر سابقاً، وبسبب خدماته العسكرية كوفئ **أوغبارو**، فتم تعيينه حاكماً على المدينة، ثم نائباً للملك عبر نهر الفرات، وملكاً لسوريا وفلسطين.

والحق أنه لا يوجد سجل حقيقي لأي ملك من ملوك گوتيوم، وإنما تذكر إنجازاتهم عرضاً من قبل الآخرين الذين حاولوا جهدهم تقليل أهميتهم، ولو ترك أُوغْبارو أو (غُوبارو Gubaru) ملك گوتيوم منحوتاً لأكّد عكس ما زعم سيروس (قورش الثاني). وهناك ذكر لملك آخر باسم أوغبارو، لعله هذا الملك نفسه أو ابنه، لعب دوراً كبيراً في نجاح داريوس العظيم[1].

ومع ذلك فإن أوغبارو ملك گوتيوم أدرك في حينه مدى الضرر الذي كان يسبّبه للشرق المتمدن بوقوفه إلى جانب سيروس (قورش الثاني) في القضاء على بابل. وكانت نهاية مملكة بابل الحديثة (558 ق.م)[2] نقطة تحوّل كبير في تاريخ العالم على صعيدين أساسيين:

أ- بما أن الملوك المتوارثين للشرق القديم (آشور- أورارتو- أرمينيا- بابل- گوتيوم) في سدّة الحكم كانوا متيقّظين دائماً ضد كل تدخل من آسيا الصغرى والبحر المتوسط، فقد حافظوا على صفاتهم، وعلى وجهة نظرهم للشرق الحقيقي القائم على القداسة. ولكن

1 – هو الملك الأخميني الثالث دارا الأول – المترجم.

2 – كذا جاء في الأصل، والصواب (538 ق.م) – المترجم.

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

عندما ظهر الفرس على الساحة السياسية، ونظراً لانعدام الخبرة، والافتقار إلى العظماء الوطنيين، والثقافة الوطنية (الأرستقراطية)، فقد سمحوا للإغريق، ولكل أشكال المغامرين الغربيين بالدخول إلى البلاد، للعمل كمرشدين ومستشارين في أمور سياسة الإمبراطورية، التي كانت فيما سبق شأناً شرقياً محضاً.

إن الإمبراطورية الأخمينية كانت طوال ذلك الوقت ضعيفة ومتراخية، حتى إنها عجزت عن تنظيم مقاومة فعّالة لتطرد الآلاف من المغامرين تحت قيادة **الإسكندر الأكبر**، ولو كان ملك الملوك خلال السنوات (335 – 325 ق.م) آشورياً أو أرمينياً أو گوتياً لما تمكن الإسكندر أبداً من عبور الفرات، ولما نجح في اكتساح البلاد، ولتراجع إلى إيجا Aegea[1].

ب . إن إدخال حب الحرية، والعقلية الإغريقية، وعناصر أخرى، إلى العقول البسيطة للمجتمعات الشرقية، وإلى نُبلها وحياتها الهادئة الآمنة، أفسد في النهاية التطور التاريخي للمنطقة، وطوال ألف سنة شوّهت رموز الإغريق وأساطيرهم الصورة الحقيقية للحضارة الشرقية القديمة. وصحيح أن الأعراق الأصلية، مثل العرب والآشوريين والگوتيين والأرمن، لم تتأثر في النهاية، ولكن تاريخهم

1 – بحر إيجا (إيجه) في شمال شرقي البحر الأبيض المتوسط، بين تركيا واليونان حالياً– المترجم.

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

شُوّه بصورة كلية، وثمة حكايات خيالية جداً تتضمن أحداثاً إباحية سُردت من قبل **هيرودوت** عن السكيث Scythians والميد وشعوب أخرى غير معروفة، لكنه لم يذكر شيئاً ذا قيمة يتعلق بالأجناس العريقة، ولا شيءَ يشير إلى گوتيوم.

إن **هيرودوت** يشير في تاريخه مراراً إلى أرض سيسيا Cissia التي تتطابق طبوغرافياً مع كاشّو القديمة أرض الكاسّيت Kassites، ولكنه يضع بختيين Pactyice آخرين على حدود الهندوس في الهند، ويوضح أنه كان يوجد محاربون قبليون من البختي Bokhti في جيش اگزيركيس Xerzes [1] ، الذي يقال بأنه غزا الإغريق " **وكان يوجد بختيون Pactyans ذوو عباءات مصنوعة من جلد الماعز، وهم مسلحون بأقواسهم وخناجرهم الوطنية** ". وإذا كان هذا البيان صحيحاً فإنه يوضّح أن تبعثر القبائل الكُردية حتى الهند لا بد أن يكون قد بدأ مع الملك الأخميني **داريوس الأكبر** (دارا الأول).

ويقدم المؤرخ الإغريق هيرودوت معلومات أكثر فيما يتعلق بقبيلة **شِكاك**، إنه يقول: " **توجد قبيلة رحّالة تدعى ساگارتيان Sagartian يتحدث أفرادها الفارسية، ولكن زيّهم هو بين الفارسي والبختي Pactyican، وقد قدّموا ثمانية آلاف فارس، غير أنهم لا يعتادون**

1 – الملك الأخميني الرابع أحشويرش بن دارا الأول– المترجم.

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

حمل الأسلحة الفولاذية أو البرونزية ما عدا الخناجر، وكانوا يحملون الوَهَق المطوي المصنوع من سَيْر جلدي"[1].

كان هؤلاء الفرسان يذهبون إلى الحرب معتمدين على تلك الآلات الحربية، وكان أسلوب القتال لدى هؤلاء الفرسان كما يلي: عند اقترابهم من العدوّ كانوا يقذفون الوَهَق المزوّد بالشَّرَك في نهايته، ثم كانوا يجرّون إليهم كل من يقع في الشَّرَك، رجالاً كانوا أم خيولاً، ويقضون عليهم، وكانوا يزحفون في مؤخرة الجيش الفارسي.

وبعد حوالي قرن ونصف ظهرت القبائل الكُردية على الساحة العالمية، لكن بمجرد صدفة، وذلك خلال تقهقر اكسنوفان مع عشرة آلاف من المقاتلين الإغريق عبر كُردستان إلى البحر الأسود عام (401 – 400 ق.م)، فيما بين بابل وكاردوخيا (كُردستان)[2]، وقال اكسنوفان: "**الميديون الذين سكنوا فيما مضى مدناً كبيرة ثم هجروها**"[3]، ما زالوا

---

1 – الوَهَق حبل في طرفه أنشوطة، ويستعمل لاقتناص الخيل والأبقار– المترجم.

2 – إن كلمة كاردوخيا Kardukhia تتطابق مع الكلمة الأرمنية الكلاسيكية Kurdukh الإقليم الشرقي لأرمينيا– ماغنا Armenia Magna ، وكانت تُذكر غالباً في المصادر الإغريقية والرومانية، إن إقليم كوردوخ كان يشمل عشرة أقاليم، من بينها كوردوخ الأعلى والأوسط والأسفل، وهو يغطّي تماماً مقاطعة بوتان Bohtan (بابخي Babkhi قديماً).

3 - Xenophon: Anabasis 111.4. 10.

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

أكثر غرابة من الميديين في كُردستان. إنه التقى " **رماة السهام السكيث الذين أطلقوا سهامهم**"[1].

إن الاحتمال قليل في ألا يكون ثمة ميديون أو سكيث في تلك المنطقة، على الأقل في ذلك الوقت، وأن هذه الجماعات العرقية وجدت فقط كتصورات مسبَقة، ثم جرى تداولها في الأدب الإغريقي. وفي اللحظة التي بدأ فيها الجنود العشرة آلاف تراجعهم بمحاذاة المنحدرات السفلى لجبل حَمْرِين[2]، كانوا في تماس مباشر مع قبائل الگوتيين الذين كانوا يُعدّون هنا ميديين أو سكيث.

وعلى الرغم من هذه الاعتقادات الخاطئة، فقد كان وصف اكسنوفان لعادات وتقاليد الشعب الكُردوخي، وأساليب قتالهم، وعلاقاتهم مع الأجانب، وصفاً حقيقياً، شأنه في ذلك شأن أي وصف وُجد حوالي النصف الثاني من القرن الماضي. ومن تلك الأوصاف:

- " **الكوردوخي لا يكترث عندما يناديه أحد، ولا يعطي أي انطباع عن الشعور الودّي...**".
- " **بعض الكُردوخيين المجتمعين معاً هاجموا مؤخرة الحرس الإغريقي، وقتلوا وجرحوا بعضهم بالحجارة والسهام، إنهم كانوا**

---

1 - Xenophon: Anabasis 111.4. 15.

2 – يقع جبل حَمْرِين في جنوبي إقليم كُردستان – العراق حالياً– المترجم.

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

قلائل، وقد قضى عليهم الإغريق بعد أن أخذوهم على حين غرّة، ولو كانت أعدادهم أكبر لحاق الدمار بقسم كبير من الجنود الإغريق ".

- **" في الليل يشعل الكُردوخيون النيران على الجبال، ويراقب بعضهم مواقع البعض الآخر ".**
- **" ضغط الأعداء بشدة على الإغريق، إذ كانت الممرات ضيقة، وكانت تضيق أكثر فأكثر، واستعملوا الأقواس والمقاليع[1]، إلقِ بنظرك على هذه الجبال، جبال كردوخيا، سترى كم هي صعبة المعبر! الطريق الوحيد الذي تستطيع أن تشاهده منحدر، ولدى اقترابك منه سترى حشوداً من الرجال الذين استقروا في ذلك الممر، وباتوا يحرسونه على الدوام ".**

بعد هذا النجاح ظهر الكُردوخيون على واحدة من التلال الثلاثة، وقد تعامل معهم **اكسنوفان** من خلال ترجمان لعقد هدنة، ودعاهم إلى الانسحاب من الممر، فأجابوا بأنهم سيتخلّون عنه مقابل ألا يحرق قراهم. وتقدم الكُردوخيون بأعداد كبيرة وبأصوات عالية، فدحرجوا الجلاميد والصخور، وكسروا ساق واحد من رجاله، ومن الجلي أن الكُرد أظهروا عداءً مستمراً للإغريق الذين أحرقوا قراهم، وأخذوا المؤن والأسرى بالقوة.

[1] – المِقلاع: أداة من جلد لقذف الحجارة باليد– المترجم.

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

وخلال فترة الحكم السلوقي في سوريا زاد تشتّت القبائل الكُردية، وما كان الحكم السلوقي ليدوم أكثر من جيل أو جيلين، شأنه في ذلك شأن الحكم الساساني الفارسي، لولا الدعم الاختياري الذي قدّمته شعوب مثل الشعب الكُردي، ذلك الشعب المحب للقتال، والمغامر بالوراثة، والذي كثيراً ما تطوّع في خدمة الأجانب لحماية التخوم الشمالية الشرقية والجنوبية الشرقية لبلاد فارس.

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

6

أرمينيا وبارْثيا والقبائل الكُردية

لا توجد سجلات وطنية لپارثيا Partia، ولا أدب يتحدث عنهم، وما نعرفه عن تاريخهم الآن إنما هو مستمد من المصادر الإغريقية والرومانية[1]. غير أن الأدب الأرمني الكلاسيكي القديم، الذي بدأ في القرن الرابع الميلادي، يتضمن مواد كافية تفصح عن الطبيعة الطيبة لعلاقات الجوار مع القبائل الكُردية بشكل عام.

إن هاتين المملكتين الشرقيتين العريقتين استمدّتا قوتيهما من المجتمعات الوطنية القائمة على أراض غنية بالثروات الطبيعية، لذلك حققتا طوال قرون مكتسبات عملية وحضارية. وقد سلكت أرمينيا، على وجه الخصوص، الأسلوب العملي لاستقرار القبائل في مساكن دائمة، وقامت بتشجيعهم على حراثة الأرض، وبخلاف بقية الدول فإنها لم تبعثر القبائل الكُردية في الاتجاهات الأربعة، لخدمة أهدافها الدفاعية الخاصة.

1 – في ضوء الكتابات المسمارية يتّضح أن أصل شعب پارث وموطنه الأولي يجب أن يراجعا بالكامل.

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

إن الملـك **ديگـران الكبيـر** (91 – 55 ق.م) بنـى القـرى حتـى للقبائـل العربية على مرتفعات جبل أمانوس[1].

1 – Pliny: naturalis Historia, V, 20,85, V1: 28,142; cf.

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

7

الكُرد وبلاد فارس السّاسانيّة

(226 – 632 م)

لقد نجح **أردشير بن ساسّان** في تأسيس المملكة الفارسية الجديدة، وذلك بقتل **أرتافان**[1] Artavan (216– 226 م) آخر ملوك بارثيا بوحشية بشعة، والقضاء على **ماديج** Madig ملك اتحاد عشائر هافْبان بُخْت Hafbanbokht الكُردية[2]، وأخيراً القضاء على **خُسْرو** Khosrovملك أرمينيا الذي هرب مدة عشر سنوات أثناء المد الساساني إلى حدود الهند، وكان نذيراً بسلسلة قتل نفّذتها المملكة الساسانية للسلالات الحاكمة، وبتآمرها ضد زعماء الشعوب المجاورة.

وهناك قليل من المدونات الغامضة لحالة القبائل الكُردية تحت سيطرة هذه المملكة الفارسية. لكن المؤرخين المسلمين، ونذكر منهم **المسعودي** و**الإصطخري** بشكل خاص، يذكرون حوالي ثلاثاً وعشرين

---

1 – يُسمّى في المصادر العربية الإسلامية: أَرْدِوان– المترجم

2 – كذا جاء في الأصل، ويقال: (هفتان بُخت)، و (بُخت) هو (بوتان)– المترجم.

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

قبيلة كُردية في الجنوب، وعدداً من القبائل الكُردية في خراسان الواقعة في الشمال الشرقي من بلاد فارس.

وكان الساسانيون يتعرضون بشكل متكرر للهجوم من قبل المغول البيض White – Huns، والقبائل التركية الكثيرة الواقعة على التخوم الشمالية الشرقية لبلاد فارس، ولذا أسكن الملوك الفرس، طوعاً أو كرهاً، أعداداً كبيرة من الكُرد لمقاتلة أولئك الغزاة، والدفاع عن بلاد فارس.

وفي الحقيقة مارس البيزنطيون السياسة نفسها، وقد استمرت هذه السياسة حتى الفتح الإسلامي لبلاد فارس في أعوام (632 – 640 م)، والذي افتتح عصراً جديداً في الشرق القديم.

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

الفصل الثالث

الإسْلام وكُردِسْتان

(640 – 1510 م)

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

1

فتح كُردستان

لم يكن الشعب العربي مجهولاً لدى الشعوب القديمة التي تسكن المناطق العليا لنهري دجلة والفرات، فخلال قرون طويلة ساهمت العلاقات التجارية والثقافية والسياسية في تطوير وجهة نظر إقليمية واسعة.

ولكن عندما قدم العرب كفاتحين متحمسين لدين جديد، انضم الكُرد والآشوريون وجميع الشعوب المجاورة إلى الحاكم الفارسي ملك الملوك، لمحاربة الجيوش العربية، ولم يستطع الفرس مقاومة العرب لوقت أطول من الوقت الذي حاولوا فيه مقاومة قوت قليلة كانت بقيادة **الإسكندر المقدوني**، وإن المؤرخين الأرمن والعرب والسوريين والبيزنطيين الذين عاصروا تلك الأحداث، سجلوا المعارك البطولية التي خاضها الكُرد ضد الزحف العربي.

وطبقاً للسياسة العربية المتبعة، فإن قواد العرب الفاتحين طالبوا الناس قاطبة، باسم خليفة المسلمين، أن عليهم إما اعتناق الإسلام، وإما دفع الجزية، ليس كرمز للاحتقار كما زُعم بشكل عام، وإنما كمصدر

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

للدخل[1]. وقد فرض العرب الإسلام على الفرس بالإكراه؛ لأن الفرس كانوا وثنيين يعبدون الطبيعة[2]، لكنهم كانوا معتدلين ومتسامحين مع كل الأمم الأخرى من أهل الكتاب، وخلال حوالي سبعين سنة (640 – 710 م) تمّ توقيع الكثير من معاهدات السلام مع أهل الكتاب الذين كانوا يسكنون بين نهر ديالا[3] وجبال القوقاز.

والجدير بالذكر هنا هو حقيقة أن الخلافة العباسية في بغداد لم تنجح أبداً في التغلب على القبائل الكُردية القريبة من العاصمة، وعلى النقيض من ذلك ساعدت الحروب الأهلية المتكررة بين المسلمين أنفسهم على ازدياد عامّ لأهل الذمة في كل أنحاء المنطقة.

وقد جنّدت الخلافة العباسية أعداداً كثيرة من المماليك الترك من آسيا الوسطى ليقاتلوا في صفوفها، ومع ذلك فإن الممالك الكُردية

---

1 – معروف أن الخيار الثالث هو الحرب– المترجم.

2 – تفيد المصادر التاريخية أن الفرس، وكذلك الكُرد، لم يكونوا وثنيين قبل الإسلام، وإنما كانوا زردشتيين، وما كان زردشت وثنياً، وإنما كان يدعو إلى عبادة الإله الواحد أهورا مزدا. وعُرف الفرس في المصادر الإسلامية بأنهم (مجوس)، وعوملوا في الإسلام معاملةَ أهل الكتاب (اليهود والنصارى)، فأُخذت منهم الجزية، وسُمِح لهم بالبقاء على الزردشتية، ولو عُدّ المجوس وثنيين لعاملهم المسلمون معاملة المشركين– المترجم.

3 – نهر ديالي في جنوبي إقليم كُردستان– العراق حالياً – المترجم.

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

والأرمنية والجيورجية، وغيرها من الممالك التي كانت تقرّ بالسيادة الاسمية للخلافة، بدأت خروجها من الظلمة في القرن التاسع الميلادي.

إن الدَّرَبگات (زعماء الإقطاعيات) الكُرد أكدوا ثانية سلطتهم التقليدية في كل أنحاء بلاد فارس الغربية، إن **أبا علي بن مروان بن دُوسْتك البابْخي الچاربُختي** (القبائل البُختية الأربع) [1]، سليل اتحاد القبائل البُختية البابخية التاريخي[2]، أسس مملكته شمالي دجلة، وعاصمتها فارقِين[3]، على مسافة يوم واحد شمالي دياربكر، وفارقين هي (تيگرانو كيرتا) القديمة، العاصمة الجنوبية للملك الأرمني **تيگران** (ديگران)[4]المعروف بالكبير. ولكن مروان الچاربُختي لم يعط المملكة

---

1 – اسمه الأول هو (باذ) Badh، وإليه تنتمي عائلة بدرخان الشهيرة في أيامنا هذه.

2 – بابخي تسمى (بُوتان= بوهتان)– المترجم.

3 – تُسمّى في المصادر التراثية الإسلامية (مَيّافارقين)، والنسبة إليه (فارقي)، ومن أبنائها المشهورين المؤرخ الفارقي– المترجم.

4 – قضى الفرس الأشگان (البارث) على الحكم السلوقي في فارس وكُردستان حوالي سنة (249 ق.م)، وأسّسوا الدولة الأشگانية، وتحالف معهم الأرمن، فاستولوا (الأرمن) على القسم الأعظم من شمالي كُردستان، واستمر الملك الأرمني ديگران الكبير في توسيع إمبراطوريته عبر شرقي الأناضول، ولذا أسّس عاصمته الثانية (تيگرانا كيرتا) في شمالي كُردستان؛ ليكون قريباً من حدود إمبراطوريته مع الإمبراطورية الرومانية المنافسة– المترجم.

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

اسم عائلته چاربُختي، وإنما أعطى هو وخلفاؤه المملكة اسم (مروانية)؛ إذ يبدو أن هذا الاسم كان أكثر انسجاماً مع الجو لإسلامي العام.

إن السلالة المروانية حكمت في فارقين، وديار بكر، وجزيرة ابن عمر[1]، من (985 – 1096 م)، وحكم أحد ملوكها، وهو **أبو نصر أحمد**، ثلاثاً وخمسين سنة (1010– 1063 م)، وقد زوّد مدنه بالأبنية الفخمة، وبالخانات والحمامات والجسور، ثم اندلعت المشاجرات بين أبناء السلالة الحاكمة طمعاً في العرش، وطلبوا المساعدة من البيزنطيين لهذه الغاية.

وقد تم اكتساح المروانيين من قبل السلاجقة الجائعين، شأنهم في ذلك شأن الكثير من السلالات الحاكمة المختلِطة (الكُردية– العربية / الكُردية– الفارسية)[2] التي بسطت نفوذها بين كُردستان وبحر قزوين. وباتّباع نظام الخصيان من جانب، وبالتدخل غير المناسب من جانب آخر، لم يكتف البيزنطيون بعدم مد يد المساعدة لأصدقائهم في الشرق، وإنما ساهموا في إضعاف مقاومة أولئك الأصدقاء للغزو السلجوقي.

---

1 – جاء هذا الاسم في بعض المصادر الإسلامية بصيغة (حارْبَخْتي)– المترجم.

2 – لعل الكاتب يريد بعبارة (السلالات المختلطة) أنها نتيجة تزاوج كُردي– عربي، أو تزاوج كُردي– فارسي، أو العكس، وربما يكون المقصود أن تلك الأسر الكُردية الحاكمة كان بعضها منتمياً إلى الثقافة العربية، وأخرى إلى الثقافة الفارسية– المترجم.

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

والحق أن السكان الكُرد عانوا مشقات مريعة بسبب الغزو السلجوقي، ولكن بما أن معظم الكُرد رحّل، فقد جمعوا عائلاتهم وماشيتهم، وكل ما يمكن نقله، وانسحبوا إلى القلاع الجبلية الشديدة الانحدار، حيث يكون الدفاع عنها أسهل، وكان السلاجقة القادمون من صحارى آسيا الوسطى يحجمون عن التسلل إلى الجبال العالية والممرات الجبلية الضيقة، فعبروا إلى آسيا الصغرى كأسراب الجراد، تاركين وراءهم عدداً من السلاطين المحليين الذين كانوا يدعون (أتابكة)، والذين كانوا على الأغلب خونة لشعوبهم.

والأمر الذي ثبت أنه كان أكثر شؤماً، وشكّل خطراً دائماً على النظام الاجتماعي القديم، هو وصول موجة الغزو الثانية بعد موجة المتشردين التركمان، كان هؤلاء يرتدون القمصان، وكانوا حفاة جائعين، يتقدّمون بعرباتهم التي تجرها الثيران وبعوائلهم، ليسيطروا على الوديان الباردة، وعلى المراعي الخضراء، الواقعة بين بحر قزوين وكُردستان (1100– 1180 م).

وكان كل من البطريرك السوري **ميخائيل** والمؤرخ المسلم **ابن الأثير** شاهد عيان على ذلك، وقد وصفا الصراع الدموي الطويل الذي خاضه الهَماوَنْديون والبُوتانيون والشِّكاك والقبائل الكُردية الأخرى ضد المجموعات التركمانية دفاعاً عن المراعي والقرى، ولكن في غياب

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

الوحدة والعمل الموحّد، خسرت القبائل التي كانت تقاتل متفرقة معركتها، على الرغم من استبسالها في الدفاع عن أوطانها وجبالها.

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

2

السُّلطان صلاح الدين والصليبيون

(1137 - 1193 م)

يبدو أن الخطر الذي كان يهدد الوطن الكُردي، خلال استيطان الجماعات التركمانية على منحدرات جبل زاغروس وفي السهول، أثار الزعماء الكُرد للعمل ضده، وأحد أعظم هؤلاء الزعماء هو **يوسف صلاح الدين**، الذي ولد سنة (532 هـ = 1138/1137 م) في قلعة تكريت بشمالي العراق، وكان والده أيوب بن شاذي حاكماً هناك[1].

---

1 – أقام الكُرد دولتين في جهات القوقاز (قفقاسيا):

الأولى: هي الحكومة الرَّوادية في أذربيجان (230 – 618 هـ)، ومعروف أن الأسرة الأيوبية تنتمي إلى القبيلة الروادية.

والثانية: هي الحكومة الشدّادية في أرّان (340 – 465 هـ)، وتتوزّع أرّان بين جمهوريات أذربيجان وجورجيا وأرمينيا الحالية، ومن مدنها نَخْجوان، وتفليس، وقَرَه باغ. ويبدو أنه كان للأسرة الأيوبية موقع هامّ في الدولة الشدادية، وعندما قضى السلاجقة على تلك الدولة اضطر شادي (شاذي) جدُّ الأيوبيين إلى الهجرة نحو جنوبي كُردستان، ومعه ولداه أيوب وشيركوه، فساعده صديقه القديم مجاهد الدين بَهْرُوز – وكان قائد شرطة بغداد– على تعيينه دزداراً (قائداً للشرطة) في قلعة تكريت بشمالي العراق.

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

أما أيوب نفسه فكان قد ولد في قلعة دُوِين Duwin في أرمينيا، على نهر أراكس Araxes[1]، وفي ريعان شبابه دخل في خدمة **محمود زنكي** حاكم الموصل، وعُيّن أخيراً حاكماً على مدينة بعلبك (في لبنان)[2]. وقد تثقف صلاح الدين في هذه المدينة السورية، واستُدعي فيما بعد من قبل الخليفة الفاطمي في القاهرة ليلتحق بجيشه، وفي عام

ويؤكد الأستاذ عبد الخالق سَرْسام أن أصل الأسرة الأيوبية يعود إلى قلعة دوين (تسمى قلعة خَفْتيدكان)، وهي تابعة لأربيل، وليس لأرمينيا أو لأذربيجان، وقدّم خمسة عشر دليلاً تاريخياً وجغرافياً على صحة رأيه. ونرى أن ذلك ليس ببعيد، فقبيلة روادي (رَوَنْدي) كانت تنتشر من ضواحي أربيل جنوباً إلى مشارف القوقاز في أذربيجان وأرمينيا، وكثيراً ما تتشابه أسماء القرى والمدن الكُردية، إضافة إلى أنه ليس ببعيد أن تكون أسرة صلاح الدين قد انتقلت من دوين التابعة لأربيل إلى دوين أخرى في أذربيجان، فالأسرة كانت تتحرك في جغرافيا كانت كُردية منذ العهد الميدي. انظر عبد الخالق سرسام: صلاح الدين من جديد، ص 14 – 32– المترجم.

1 – يسمى نهر (آراس) أيضاً، ويسمى في المصادر العربية الإسلامية نهر (الرسّ)– المترجم.

2 – بعد وفاة شاذي تولّى ولده الأكبر نجم الدين أيوب منصبه، وفي سنة (526 هـ) أنقذ أيوب عماد الدين زنكي وجنده من الهلاك، حينما خسر هذا الأخير معركة له ضد الحكم في بغداد، وانسحب إلى مقرّه في الموصل، وبعد اختلاف أيوب مع السلطة في بغداد دار الخلافة سنة (532 هـ)، أقيل من منصبه، فتوجّه بصحبة أخيه شيركوه إلى عماد الدين في الموصل، وليس محمود كما ذكر الكاتب، فمحمود هو نور الدين زنكي ابن عماد الدين، وقد رحّب عماد الدين بالأخوين، وعيّن أيوب والياً على بَعلبك، وأسند إلى شيركوه منصباً قيادياً كبيراً في الجيش الزنكي– المترجم.

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

(1171 م) سيطر صلاح الدين بشكل كامل على الخلافة الفاطمية في القاهرة، وأسّس الحكم الأيوبي، نسبة إلى اسم أبيه (أيوب)، وقد حقق ذلك وفق خطة متكاملة، وفي خضم ظروف مواتية له[1].

واستطاع هذا الكُردي العظيم توحيد سوريا والعراق تحت حكمه، وأخضع الحكام الزنكيين في حلب والموصل وديار بكر، وأعداداً كبيرة من السلاجقة الآخرين، إلى جانب الأمراء العرب والكُرد، من الجزيرة العربية إلى نهر دجلة، بل اضطر السلطان السلجوقي في قونيه إلى الاعتراف بسيادته، واستطاع أن يقلل تارة ويزيل تارة أخرى معظم الممالك

1 – كانت الخلافة الفاطمية في مصر قد ضعفت، وأصبحت فريسة الصراع بين الوزيرين المتنافسين شاوَر وضِرْغام من ناحية، وهدفاً لأطماع الفرنج من ناحية أخرى، فاستغاث الخليفة الفاطمي الأخير العاضِد بالسلطان نور الدين زنكي، فكلّف هذا الأخير كبير قوّاد جيشه أسد الدين شيركوه بقيادة حملة عسكرية إلى مصر سنة (559 هـ = 1164 م)، وأتبعها بحملة ثانية سنة (562 هـ = 1166 – 1167 م)، وبحملة ثالثة سنة (564 هـ = 1168 م)، وكلّفه الخليفة الفاطمي بمنصب الوزارة، ثم توفّي شيركوه خلال الحملة الثالثة، فعيّن الخليفة العاضد صلاح الدين وزيراً بدلاً من عمّه. ومع وفاة العاضد سنة (567 هـ = 1171 م) أعلن صلاح الدين انتهاء الخلافة الفاطمية، وكان ذلك بإلحاح من الخليفة العباسي في بغداد، وبضغط من نور الدين، وبعد وفاة نور الدين سنة (569 هـ = 1174 م) سيطر صلاح الدين على مقاليد الأمور، وأسّس الدولة الأيوبية– المترجم.

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

اللاتينية[1] التي كانت قائمة في فلسطين (والقدس خاصة)، وعلى امتداد الساحل السوري.

وتوقع صلاح الدين أن يهبّ حكام أوروبا إلى الثأر، فدعا الشرق بأكمله لمحاربة الفرنجة، إنه استنفر القبائل الكُردية في گوتيوم، وبوتان، وكذلك الأيزديين في جبل سنجار، وأعداداً كبيرة من العرب والآشوريين والأرمن والجورجيين، وقد لبّى هؤلاء دعوته.

وكان أباطرة غربي أوروبا وملوكها قد شنوا الحملة الصليبية الثالثة لإنقاذ الأماكن المسيحية المقدسة من يدي صلاح الدين، واستطاعت الجيوش الصليبية الغفيرة العدد من الفرنج والألمان والإنجليز وأوربا الشرقية إحراز نجاح محدود، على الرغم من أبّهتها وروعتها، وأول شيء فعلوه هو القيام بأعمال السلب والنهب في ممتلكات إخوانهم المسيحيين في الإمبراطورية البيزنطية.

وقد غرق الإمبراطور الألماني **فردريك باربا روسا**، القائد العام للحملة الصليبية الثالثة، في أحد أنهار كيليكيا بينما كان يستحم، فتشتّت معظم أتباعه، في حين كان الملكان **ريتشارد قلب الأسد** (ملك إنگلترا)،

---

1 – يقصد أرشاك: الممالك الفرنجية، وسُمّيت أخيراً باسم (الصليبية)، والحقيقة أن مصطلح (الحروب الصليبية) حديث النشأة، وقد أطلق المؤرخون المسلمون على الأوربيين القادمين لغزو شرقي المتوسط اسمَ (الفرنجة/الإفرنج)، باعتبار أن معظمهم كانوا فرنسيين (فرانك= فرنج)– المترجم.

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

والملك **فيليب أوغست** (ملك فرنسا) مشلولين لعدم ثقة أحدهما بالآخر، وبعد أن احتلا مدناً ساحلية قليلة في سوريا انسحبا، لكن بعد أن عانيا الكثير وتعلما القليل.

وبالرغم من أن صلاح الدين توفي سنة (1193 م) مع بدء الحملة الصليبية الرابعة، فقد بقيت شخصيته البطولية العظيمة متميزة عند الصليبيين وفي الشرق. وقد علمنا من المؤرخين العرب (المسلمين) أن **دِرْباس** [1]الزعيم الكُردي القبلي هو الذي أسر ملك الفرنج، وأن أيزديي مِهْران في جبل سِنْجار أسروا عدداً من قواد الفرنجة.

وفي حياته عيّن السلطان صلاح الدين إخوانه وأقاربه على العروش في سوريا والموصل وأرمينيا، ولو أنه اتخذ تدابير في أوج سلطته لدعم السلطة الكُردية في زاغروس، كقاعدة له، وفي أذربيجان وأرمينيا وطوروس، لكان قدّم خدمة أبدية، ليس فقط للشعب الكُردي، وإنما لكل المنطقة على وجه العموم.

إن بلاد فارس كانت منهوكة القوى، وكانت بيزنطة كما هي العادة عاجزة، وكانت مملكة جورجيا، والأمراء الأرمن شمالي نهر أراكس، في طور تنامي القوة. وعندما اختار خليفة صلاح الدين الاستقرار في مصر، وسكن خلفاؤه وادي النيل، لم تبق ثمة سلطة مركزية تحمي الشرق القديم ضد هجمات قبائل آسيا الوسطى.

---

[1] – الأرجح أن دِرْباس هو من قبيلة مهراني (ميراني) الأيزدية الأصل– المترجم.

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

3

غزوات المغول والتتار

(1210 – 1500 م)

لقد وقع حدث عرضي خلال غزوات المغول القادمين من آسيا الوسطى، وسوف يعطي هذا الحدث فكرة عن موقف الكُرد من الغازي، فقد أعطى الخان الأعظم للمغول **مَنْگوخان** تعليماته لأخيه الأصغر **هُولاگو خان** لبسط النفوذ المغولي على الخلافة العربية، وبلدان آسيا الغربية، وزوّده بجيش مغولي ضخم لتحقيق ذلك الهدف. وجاء في تلك التعليمات:

" **استمع دائماً إلى نصائح دُوقُوز خاتون[1] وعامل كل الذين يطيعونك معاملة حسنة، واسحق كل المتمردين، ودكّ بنيان كل القلاع والحصون في طريقك... ازحف من تَوْران إلى إيران، وعندما تنتهي من ذلك اقتل كل اللُّور والكُرد ودمّر نفوذهم في**

1 – دوقوز خاتون أميرة مسيحية نسطورية وزوجة هولاگو.

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

كَرْدَه كُوَه Kerdeh–Kuh **ولَمْبَـه سَر** Lembeh –ser **فهؤلاء الناس يقطعون الطرق دائماً، ويقلقون المسافرين** "[1].

إن طلائـع هولاگـو المتقدمـة، وكانـت بقيـادة **نايمـان كِتْبُغـا** -Kit Buga، فاجأت طائفة الحشاشين الإسماعيلية في قُوهستان Kuhistan، وقضت عليهم؛ ثم زحف الجيش المغولي الرئيسي على هَمَذان، ودخلت عبـر الممـرات إلـى جبـال الكُـرد، وفـي كرمنشـاه أصـدر هولاگـو الأوامـر بالزحف على بغداد، وأرسل فيلقاً من الجيش بقيادة أَرْكِيا نُويان -Arkia Noyan، لمهاجمـة الحاميـة الكُرديـة فـي أربيل، تلك القلعـة التـي لـم يكـن لها مثيل.

وأبـدى القائـد الكُـردي **صـالح أربيلـي** اسـتعداده للاستسـلام، لكـن عارضـه جنوده، وعندما حاول تقديم القلعة للقائد المغولي أعدموه، وفـي إحـدى الليـالي شـنّت الحاميـة الكُرديـة غـارة علـى التحصـينات المغوليـة، وقتلوا كل من وقع بين أيديهم، وأحرقوا آلات الحصار، ثم عادوا بسرعة إلى قلعتهم.

إن هذه الكارثة التي حلت بالمغول أضعفت عزيمة أركيا نويان، واضـطر إلـى رفـع الحصـار عـن أربيـل، ليعـود فـي الصـيف التـالي فيحاصـرها ثانيـة؛ إذ كـان الكُـرد قـد تركـوا القلعـة، ليرعـوا قطعـانهم فـي

1 – M. Quatremer: Histoire des Mongols de la Perse. 1830.Vol 1. Part 11, P, 144

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

الجبال الشمالية الباردة حسب عاداتهم، وعندئذ فقط استطاع المغول أن يفتحوا أربيل[1] ويدكّوا قلعتها انتقاماً لما حلّ بهم، والحق أن القبائل الكُردية أبدت مقاومة عنيفة ضد هولاگو خان نفسه، وخاصة في بُوتان وديار بكر (آمِد)، ولكنهم غلبوا على أمرهم في النهاية، وتعرضوا للمجازر على أيدي المغول.

وخلال القرنين والنصف التاليين (1260 – 1502 م) انتقل حكم المغول إلى الإيلخانيين والتتري **تيمورلنگ** (1387 – 1405 م)، وخلفائه، وكانوا على الدوام في نزاع مع الكُرد الذين كانوا متضامنين مع الأرمن، وحتى مع تركمان آق قويونلو (الخروف الأبيض) الذين استقروا في المنطقة قبل قرنين من الزمان، وفي اللحظة التي كانت تهدأ فيها عاصفة الغزوات كان السكان الأصليون يعيدون بناء ما دُمّر، ويعيدون تشييد اقتصادهم الزراعي والصناعي في سنوات قليلة، وفي ظل النظام الاقتصادي البسيط للعصور الوسطى، كانت المعالجة بسيطة وسريعة.

1 – نصحهم بذلك صديقهم بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل، وهو أرمني الأصل من مماليك سلاطين السلاجقة، توفّي سنة 657 هـ – المترجم.

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

الفصل الرابع

الفتح العُثماني والقبائل الكُردية

(1514 – 1890م)

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

1

النُّفوذ العُثماني في كُردستان

مع بداية القرن السادس عشر الميلادي بدأ عهد جديد في الشرق؛ إذ بعد تسعة قرون (639 – 1502 م) من القهر والتمزق رفعت بلاد فارس رأسها ثانية بقيادة الشاه **إسماعيل الصفوي**، واستعادت سلطتها الموحدة في عاصمتها الأولى تبريز (في أذربيجان)، ثم في أصفهان.

ومن ناحية أخرى رسّخت الإمبراطورية العثمانية أقدامها في القسطنطينية وفي أقطار البلقان، متطلعة بأنظارها إلى الأراضي الواسعة بين نهر الفرات وإمبراطورية فارس الصفوية؛ حيث الأراضي العربية وكُردستان وأرمينيا وجيورجيا.

إن موقف هذه الشعوب كان بالغ الأهمية لكل من الشاه الفارسي والسلطان العثماني؛ أما بلاد فارس فكانت معروفة عند هذه الشعوب من خلال اتحادها غير الديني (العلماني) معها، وأما تركيا فكانت أكثر بعداً، وكانت شخصية حكامها بحاجة إلى أن توضع تحت التجربة.

وقد خلع السلطان **سليم الأول** (1512 – 1520 م) والده من الحكم، واستلم السلطة، وكان من الحكام الأتراك النشطيين، وكان سنّياً

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

متشدداً مثل معظم العرب والأتراك، بينما كان الفرس شيعة، وبدأ السلطان حكمه بإصدار أمر يقضي بذبح حوالي أربعين ألفاً من المسلمين الشيعة في الإمبراطورية العثمانية.

ومن قصره الشتوي في أماسِّيا Amassia، بتركيا الآسيوية، طلب السلطان **سليم الأول** من **الشاه إسماعيل** أن يتخلّى عن مذهبه الشيعي، ويعيد الأراضي التي كانت تعود إلى الأتراك، فرد عليه الشاه بلهجة عنيفة غاضبة؛ ونتيجة لذلك نشبت معارك حربية بين الفريقين، في سهل **چالديران** قرب مدينة قارص، بين عامي (1514 – 1516 م)، وفي النهاية حلّت الهزيمة بالفرس تماماً، وفرّ الشاه إسماعيل تاركاً عرشه وخزائنه غنيمة بين يدي السلطان العثماني.

إن الانتصار العثماني في چالديران كان نقطة تحوّل هامة في التاريخ الحديث للقبائل الكُردية، فقد اتضح للعثمانيين التوزّع الجغرافي لتلك القبائل، والتقسيمات الفرعية، وأسماء المناطق القبلية، والزعماء أيضاً.

ويعود الفضل في ذلك إلى رجل الدولة **ملا إدريس**، إن هذا الرجل الكُردي كان من مدينة بدليس، وكان سابقاً سكرتير **يعقوب خان**، أحد مدّعي العرش الفارسي، وخلال وجوده في چالديران قدّم ملا إدريس خدمات جليلة للسلطان **سليم الأول**، وقدّم له نصائح هامة في شؤون كُردستان وأرمينيا، وفي عام (1515 م) أرسله السلطان سليم من أماسِّيا،

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

مزوّداً بوسائل الإطراء والهدايا، إلى الزعماء الكُرد في گوتيوم وزاغروس، لإبعادهم عن التحالف مع الفرس، ولكسبهم إلى جانب الدولة العثمانية.

واستجاب تسعة زعماء (بگوات) كرد لطلب السلطان، وأعلنوا ولاءهم للعثمانيين، أما القبائل الأربع عشرة الباقية في معاقل زاغروس وطوروس النائية فتوصّل ملا إدريس مع زعمائها إلى معاهدات باسم السلطان، فبعث لهم السلطان جميعاً فرمانات (مراسيم) إمبراطورية، يعترف فيها بالزعماء الكُرد على أنهم (بَگْلَرْبك)، لهم سلطاتهم المبجلة وحقوقهم المتوارثة غير القابلة للتحويل، ولهم امتيازاتهم وملكياتهم لقلاعهم وحصونهم وأراضيهم بالكامل، ومُنحوا لقب الحكومات الكُردية المسؤولة قانونياً فقط عن جزية سنوية اسمية، وتجنيد عدد محدّد من المسلحين والخيالة أثناء الحروب.

وفضّل هؤلاء الـ(بَگْلَرْبَك) الكُرد التسعة أن يسموا أنفسهم (دَرَهْ بَگ)، وكانوا إمبراطورية ضمن إمبراطورية، وقد وُضعوا تحت القيادة العسكرية العليا لـ(بَگْلَرْبك) في الأناضول، القائد العام للجيش في آسيا العثمانية. إن خطة **ملا إدريس** بخصوص أعادة التنظيم ساعدت بصورة رئيسية على حماية الحدود ضد غزوات مستقبلية من قبل الفرس، وكانت الحدود

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

بين نهري ديالي والزاب[1] محروسة من قبل الحكمداريات الكُردية (الحكومات شبه المستقلة).

وكان **ملا إدريس** يدرك أن عواطف السكان الأصليين في أرمينيا الكبرى كانت منحازة تاريخياً إلى الفرس، وكي يحافظ على أمن وسلامة المواقع الإستراتيجية في وادي نهر أراكس، أغرى هو وحلفاؤه القبائل الكُردية الكبيرة في ديار بكر وطوروس بالهجرة إلى وان وقارص، والمناطق الأرمينية الأخرى[2]، ووعدوهم بإقطاعات عسكرية وبألقاب ووظائف إدارية، وهكذا مارس الأتراك ما سبق أن مارسه الفرس لقرون عديدة، أي تشتيت القبائل الكُردية، لتحقيق مصالحهم العسكرية.

وتوصلت القبائل الكُردية إلى اتفاق مع السلطان العثماني دون أية معارضة على الإطلاق، وتم ذلك بجهود **ملا إدريس**، ذلك الزعيم الكُردي المثقف والموثوق به، الذي استطاع أن يقنع الزعماء القبليين، ذوي العقول الحصيفة المتزنة، بالمكاسب التي سيجنونها من تحالفهم وتواصلهم المباشر مع الإمبراطورية العثمانية.

---

1 – لم يحدّد الكاتب أيّ الزابين يقصد، والأرجح أن المقصود هو الزاب الأسفل – المترجم.

2 – سبقت الإشارة إلى أن الكاتب يعدّ المناطق الشمالية من كُردستان أرمينية، وأوضحنا الخلفية التي ينطلق منها هو والمتطرفون من القوميين الأرمن– المترجم.

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

ويبدو أن هذا الأمل تحقق خلال قرنين، بالرغم من الحروب الطويلة المتوالية والمدمرة بين تركيا وفارس خلال الأعوام (1514–1516 م)، و(1534– 1556 م)، و(1587– 1628 م)، و(1636–1638 م)، و(1724– 1732 م)، ونتيجة لذلك دُمّرت الأقاليم الحدودية جزئياً، وجُنّد الشباب الكُرد الذين كانوا غالباً ينخرطون بشغف في الجيوش العثمانية، ليشاركوا في حروب الترك ضد الدول الأوروبية.

ولأجيال عديدة استطاع كثيرون من الكُرد، ولا سيما الذين كانوا يسكنون المعاقل الجبلية التي يتعذّر الوصول إليها، أن يستفيدوا من الاتفاقية الموقعة مع الدولة العثمانية، دون أن يتعرضوا لأية مسؤوليات، إنهم تمتعوا بحكمهم الذاتي السابق بشكل غير منقوص، وغالباً دون دفع الجزية أو تقديم الجنود. وكان طبيعياً أن يمتنعوا عن دفع الجزية، لأنه، بغضّ النظر عن الجنس والدين والسلطة، فإن كل من كان يحاول أن يسيطر عليهم قادماً من الغرب كان يعدّ رومياً، ومثل هذا يجب أن يقاوم بلا هوادة. وما كانت تلك القبائل المعزولة في أودية معيّنة تعلم أن هؤلاء الترك كانوا قادمين في الأصل من آسيا الوسطى، بالرغم من قدومهم حديثاً من الغرب.

وكانت توجد أسباب أخرى دفعت الزعماء القبليين إلى عدم تنفيذ الاتفاقية التي وقّعوا عليها، فبلاد فارس كانت جاراً قريباً آخر للوطن الكُردي، وعلى الرغم من الفوضى السياسية التي كانت سائدة فيها، كان

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

يمكنها أن تكون عدواً مرعباً إذا استُخفّ بها كثيراً؛ والأكثر من هذا أن القسطنطينية، عاصمة الإمبراطورية العثمانية، كانت بعيدة جداً، ومنذ حكم **سليمان القانوني** (1520– 1566 م)، كانت الإمبراطورية نفسها متورّطة بشكل معقد في أوروبا.

وفضلاً عن هذا فإن حضارة الأتراك فشلت في التأثير على الكُرد، وصحيح أن الكُرد كانوا أميين، وكانوا، لأغراض عملية، منقطعين عن العالم الخارجي حتى الوقت الحالي، إلا أن الزعيم الكُردي البسيط ملاحظ حاذق، ومتسائل ذكي، وهو يتميّز بإدراك حادّ، وبحكمة دقيقة في الشؤون المتعلقة بالكُرد، ومن ثم فهو لم يفشل في ملاحظة أن الفاتحين الأتراك لا يمتلكون لغة أدبية، وأنهم ليس لهم تراث أدبي، وأنهم استعاروا من الأبجدية العربية ومن المفردات الفارسية والعربية الكثير، في حين كان الكُردي نفسه يتمتّع ليس فقط بالحكايات الملحمية لبني جنسه، وإنما بالملاحم التي توجد في الشعر العربي والفارسي أيضاً.

ومع هذا كانت الجيوش العثمانية تحرز انتصارات مدوّية في أنحاء العالم، وخلال كثير من أعوام القرنين السادس عشر والسابع عشر كانت أوروبا ترتعد من وقع أقدام الجيوش العثمانية. أما بلاد العجم (تعرف بلغات الشعوب المجاورة باسم: فارس) فكانت قريبة من الدولة العثمانية، واستطاعت المحافظة على نفسها واتّباع سياسات عملية متحوّلة بحسب الظروف. وجدير بالذكر أن الفرس أنفسهم تأثّروا بالتقدم العثماني في

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

أوروبا، وقامت البعثات الأوروبية والرحالة الأوروبيون بزيارة فارس بأعداد متزايدة، لتقديم ولائهم واحترامهم لمقام الشاه الرفيع، ولم يستطيعوا أن يقدموا له مساعدة عملية ضد الأتراك.

وعلى النقيض من ذلك كانت عدة بعثات تبشيرية أوروبية تبحث عن مساعدة فارسية، لشنّ حملة صليبية جديدة ضد الترك. وإن المئات من المخطوطات الأرمينية، والمذكرات الشخصية المسجلة يوماً بيوم طوال تلك القرون، تُظهر التأثر العميق الذي تتركه الانتصارات العثمانية في الغرب على عقول الشعوب الشرقية.

وعندما اعتلى **الشاه عباس الثاني** (1585 – 1628 م)، المعروف بنشاطه، عرش بلاد فارس، أعدّ لمحاولة جديدة في مقاومة الترك، وكان يحتاج إلى مؤازرة جميع الشعوب المقيمة بين الخليج الفارسي والقوقاز، ولم يستطع أن يتجاهل الهيبة التي كانت تتمتع بها الإمبراطورية العثمانية في نظر جزء كبير من القبائل الكُردية القوية، لذلك شجّع **الأمير شرف الدين بدليسي**– وهو مؤرخ كُردي، وسليل أسرة **شرف خان** الحاكم في بدليس– ليكتب باللغة الفارسية تاريخ القبائل الكُردية وسلالاتهم، وكان هدفه من وراء ذلك بالطبع إثارة الحمية المتوارثة للكرد، وليذكّرهم باتحادهم القديم مع الفرس والشرق، ويصرف انتباههم عن تأييد الإمبراطورية العثمانية.

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

لكن السرور الذي جلبته هذه الخطوة للقبائل الكُردية رافقته أعمال عسكرية قاسية، رأى الشاه نفسه مجبراً على اتخاذها ضد بعض تلك القبائل، ولولا الدعم الفعّال الذي قدمته فرق الفرسان الكُردية الكبيرة ما كان **الشاه عباس** ليتمكن من الإطاحة بالجيش الأوزبكي الذي هدّد بلاد فارس في القسم الشمالي الشرقي، قادماً من آسيا الوسطى[1].

ومع هذا ففي اللحظة التي أخضع فيها **الشاه عباس** الأُوزبك انقلب إلى الكُرد حلفاء الأمس، وكافأ الملك الكُردي **آردآن** Ardaan على ما قدّم له من خدمات ضد الأوزبك، بأن طالبه بالاعتراف بالسيادة الفارسية، وأمر باعتقاله سنة (1613 م) وأعدمه[2].

وقد نُظمت إحدى الملاحم الكُردية في هذه الفترة، وموضوع الملحمة بطولي مؤثّر، إنها ملحمة قلعة **(دِمْ دِمْ)** Dim Dim، وتعود تلك القلعة الحصينة إلى زعيم اتحاد قبائل **هارتُوشي** Hartoshi[3]، الذي لم يستجب لطلب الشاه بالخضوع له، وحاصر الفرس القلعة، وظل الرجال والنساء والأطفال يحمون المتاريس، ونجحوا في صد الهجوم الفارسي، وخلال شهور بدأت المؤن بالنفاد، وانقطعت اتصالات القلعة بالعالم الخارجي بسبب الحصار، وألقي القبض على أولئك الذين تجرأوا

1 – تلك هي المشكلة اعترضت، وما زالت تعترض، كل انتفاضات الكُرد وثوراتهم قديماً وحديثاً، وكانت من أهم أسباب فشلها– المترجم.

2 - D' Herbelot: Bibliotheque Orientale (1675) P. 511.

3 – تسمّى (آرتوشي) أيضاً– المترجم.

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

وتسلّلوا متنكّرين من بين الجيوش المحاصرة لطل المساعدة من الكُرد الآخرين، ثم أعدموا.

وأخيراً رفع الفرس المتاريس من أمام جدران القلعة لبدء الهجوم الأخير، وكان الرجال والنساء داخل القلعة منهكين من الجوع والعطش، لكنهم حاربوا حتى النهاية، أما الفتيات العذارى فكن يلقين بأنفسهن في الخنادق العميقة المحيطة بالقلعة، ويقتلن أنفسهن للنجاة من العار، ودخل الغزاة القلعة بعد موت آخر مدافع، أو عندما كان عاجزاً عن الحركة.

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

2

كَريم خان ملكٌ كُردي للفُرس

(1751 – 1779 م)

باستثناء ثمانية أعوام من الهدنة، تحاربت الدولتان الفارسية والعثمانية طوال خمسين عاماً (1588 – 1638 م)، وفي نهاية هذه الفترة كان كلا الجانبين منهكاً، ونتيجة لذلك تفاقم التذمّر وتنامى، حتى اضطرت الدولتان إلى السلام، وبما أن خط الحدود كان يتّبع التضاريس الطبيعية لجبال آرارات وزاغروس فقد ظل دون تغيير حتى الحرب العالمية الأولى (1914– 1918 م).

وفي السنوات الثمانين التالية استتبّ السلام في الشرق، واستعادت الشعوب العريقة هناك خسائرها بسرعة، وبدأت بتعمير ما دمرته الحرب، وبما أن الأتراك فقدوا عائدات اللصوصية في آسيا وأوروبا، فإنهم كانوا يشدون الخناق على القبائل الكُردية عاماً بعد عام، ولا شك أن الضغط يولّد الازدراء في نفس الشعوب ذات الذاكرة العميقة. والرأي الذي عبّر عنه أحد زعماء الكُرد عام (1675 م) في هذا الصدد جدير بالتأمل، لقد قال:" **أنا وليس السلطان العثماني إمبراطور هذه الأرض، إنه قد يكون**

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

أقوى مني، ولكني أنبل منه "[1]. ولو عاش هذا الزعيم حياة أطول لأدرك أن ما حدث بعده كان أسوأ بكثير مما عاشه هو.

وعندما تبوّأ **نادر شاه** السلطة في فارس (1722– 1747 م)، اندلعت سلسلة حروب جديدة وأخيرة بين الإمبراطوريتين الفارسية والعثمانية، ولكن في هذه المرة تحوّلت عواطف القسم الأكبر من القبائل الكُردية باتجاه الفرس. والحقيقة أن الحكم القوي والسريع الزوال لنادر شاه تبعته فوضى تامة في فارس والقوقاز والأقاليم المجاورة لتركيا، وإن مدّعي العرش والزعماء القبليين الطموحين دفعوا بفارس مرة أخرى إلى ساحة المعركة.

وفي عام(1750 م) عيّن مَرْدان خان[(2)]، زعيم قبائل بختياري (باكتريا)، نفسه وصياً على عرش إمبراطورية فارس، وانضم إليه كُردي آخر يدعى **كريم خان زَنْدي**، قائد لورستان، وحاربا معاً الغزاة الأفغان، لكن سرعان ما تخاصم الحليفان على السلطة، وتغلّب كريم خان على مراد خان بدعم من أرمن جولفا julfa قرب أصفهان، واعترف به الجيش وصياً على العرش طوال الحياة.

---

1 – ورد هذا في مقال للسفير الفرنسي في الدولة العثمانية دُوري أفندي Doury AFFendi، نشره سنة (1810 م).

2 – كذا جاء في الأصل، والصواب: مراد خان– المترجم.

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

وخلال حكمه استقر **كريم خان زندي** في جنوبي فارس بعاصمته شِيراز، وهي المنطقة التي نشأت فيها السلالات الأخمينية والساسانية قديماً، وبدعم من جماعته اللُّور المخلصين، ومن قبائل بختياري والخيالة العرب، هزم كريم خان منافسيه، وكانت النتيجة أن ساد السلام النسبي في فارس خلال عشرين عاماً.

وبعد وفاة كريم خان زندي تولّى السلطة كُردي آخر هو لُطْف علي خان، زعيم اتحاد قبائل اللور، ولكنه لم ينجح في مكافحة سلالة قاجار Kajar، وهي قبيلة تركمانية كان مركزها في طهران، وكانت تسيطر على شمالي فارس. وقد نُصب كمين للزعيم الكُردي لطف علي خان، وسُلّم إلى آغا محمد خان، مؤسس السلالة القاجارية، فقتله في ديسمبر/ كانون الأول (1794 م)، بعد أن اقتلع عينيه.

وخشية من انبعاث نهضة كُردية جديدة في جنوبي بلاد فارس، وفي لورستان وأراضي بختياري، عامل ملوك قاجار الأمراء المنحدرين من سلالة كريم خان زندي بقسوة، فأعدموا بعضهم جهراً، وقتلوا آخرين سراً، ولذلك لم تستطع القبائل الكُردية في فارس أن تكون قوة سياسية حتى العصر الحديث.

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

3

جغرافية كُردستان في العُصور الحديثة

إن المصادر العثمانية الرسمية ناقصة ومتناقضة في مجال الأمور الإدارية الخاصة بالولايات، فبعد الاحتلال العثماني للتخوم الشرقية (العراق، كُردستان، أرمينيا، جورجيا)، في النصف الأول من القرن السادس عشر، حدثت تغيّرات كثيرة غير محدّدة، وفي الغالب كانت تلك التغيرات لمصلحة الحكام المحليين، ولكن منذ بداية القرن التاسع عشر كانت تلك التغيرات تأخذ طابعاً سياسياً بشكل أكثر.

والحق أن سلطة العشائر الكُردية في فارس، خلال فترة كبيرة من القرن الثامن عشر، والمكاسب التي حصل عليها الكُرد في تركيا، سبّبت قلقاً بالغاً للحكومة التركية، لذا اتخذ الباب العالي[1] قراراً بإعادة تحديد التقسيمات الإدارية في الولايات الشرقية الشمالية المتاخمة لبلاد فارس وروسيا.

وكان الهدف الرئيسي من تلك الإجراءات الإدارية الجديدة تقليص نفوذ الباشاوات الكُرد، وتحويلهم إلى مجرد حكام مقاطعات عثمانيين،

1 – الباب العالي يراد به: قصر السلطان، الإدارة العليا في السلطنة– المترجم.

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

فسلّمت الدولة العثمانية السلطةَ إلى ثلاثة باشاوات عثمانيين في بغداد وديار بكر وأرضروم، وكان هؤلاء الباشاوات من المرتبة الأولى، ومن أصل عثماني قدر المستطاع:

أولاً– باشاوية بغداد: كانت تضم **گوتيوم** القديمة، الموطن الأصلي للشعب الكُردي، و**كاشّو** القديمة أرض الكاشّيين (الكاسّيت)، والمرتفعات الجبلية حتى حدود فارس، وكما كانت الحال أيام سومر وبابل، فإن القبائل العريقة هناك كان لها وجود مستقل في معاقلهم الجبلية، أحياناً جزئياً وأحياناً بصورة كلية.

إن كارستن نيبور Carsten Neabuhr، صاحب النظرة الثاقبة[1]، كان قد سافر إلى بغداد والموصل وديار بكر عام (1763– 1764م)، وسجّل أن إقليم قلعة چُولان Kala Cholan كان محكوماً من قبل أحد الباشاوات الكُرد من عائلة صوران Sohran، من ائتلاف العشائر البابانية الكبيرة، وأن إقليم شَهْرَزُور تقلّص كثيراً، وأن قلعة گُولامبر Gulamber التي كانت فيما مضى مقراً للزعماء (دَرَه بگات) الكُرد الأقوياء، تحوّلت إلى أنقاض؛ فقد دمّرها **الشاه عباس الصفوي** قبل ذلك بقرن من الزمان، وأن منصب زعيم كُويسَنْجَق في وادي نهر الزاب الأسفل لم يكن على ما يرام، رغم أن الحكام الكُرد كانوا ما يزالون

1 - Carsten Niebuhr: Reisebeschreibungen nach Arabien und anderen umliegenden Ländern,1774 – 1837. Vol. 11. p. 127 sqq.

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

يمارسون سلطة اسمية في كل من أربيل وآلتُون كُوبْري Altun-Keupri.

ويشير **نيبور** بغموض إلى أن هؤلاء الباشاوات الكُرد، حينما كانوا مستقلين، كانوا يتلقّون مناصبهم المتوارثة من الباب العالي مباشرة، ولكن في زمنه خالف الباشاوات العثمانيون في بغداد نظام الحكم الذاتي القبلي المتفق عليه من قبل **ملا إدريس بدليسي**، وباعوا المناصب للزعماء القبليين الذين كانوا يعرضون ثمناً أعلى لشرائها، هذا إضافة إلى أن الحامية الإنكشارية العثمانية تمركزت في أربيل، وسيطرت على الطرق الرئيسية في مناطق الباشاوات الكُرد، ولذلك كان على العشائر الكُردية القوية فيما سبق أن تخضع الآن للجنود الأجانب في أوقات السلم.

وقد وجد الرحّالة نيبور أرض **آدِيابن** Adiabene التاريخية الكُردية الواقعة بين نهري الزاب الأسفل والزاب الأعلى خراباً تقريباً[1]، أما غربي الموصل في جبل سنجار فكانت المقرات الأيزدية ما تزال قوية ومحافظة على امتيازاتها من الحكم الذاتي.

ثانياً- باشاوية ديار بكر: تقع أبعد إلى الشمال، وعلى غربي نهر دجلة، ومواطن القبائل الكُردية والأيزدية في ماردين وطور عبدين، إنها كانت ترفض دفع الجزية، في حين كانت وَيْران شهر (موطن قبيلة

1 – ذكر جـــرجيس فـــتح الله أن منطقة أربيل (هَوْلَير) كانت تسمّى قديماً (أَدْيابِين) و(حَدْياب). انظر: مجموعة من الباحثين: كركوك، ص 38 – 39– المترجم.

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

مِهْراني Mihrani الأيزدية تُدعى اليوم مِللي Milli[1]) ومحيطها أنقاضاً. أما عبر نهر دجلة وفي شمالي الموصل فكانت القبائل المنضوية تحت لواء اتحاد عمادية- زيباري- دهوك- زاخو تحافظ على ألقابها وسلطتها المتوارثة في مقاطعاتها، وكان البدرخانيون هم الأقوى وأكثر استقلالية في جزيرة ابن عمر[2].

لكن الباشاوات العثمانيين كانوا يدعمون بشكل دائم إمارة كُردية ضد الأخرى، وكانوا يمارسون هذه السياسة ليس فقط بين أبناء العائلات الوراثية، أولئك الذين كانوا مخوّلين في الأصل بالحكم الذاتي في مقاطعاتهم، بل أيضاً بين القبائل الرعوية الرحّالة، ولم يبال الباشاوات العثمانيون أنهم يحوّلون أقاليم السلطنة بهذه الطريقة إلى صحارى.

وكانت المجموعات الأيزدية[3] والكُردية والأرمنية في وديان طوروس الأوسط أوفر حظاً، نظراً لموقعهم الحصين. وبقيت قلعة دَرْسِيم الجبلية مستقلة وغير مهزومة حتى عام (1938م). ومن قمة جبل طوروس المطلة على مدينة خَرْبِرْت Kharberd (تسمى الآن:

---

1 – أحسب أنها تسمّى الآن (ميران) أيضاً- المترجم.

2 – جزيرة بوتان- المترجم.

3 – ذكر الكاتب الأيزديين والكُرد على نحو مستقل، وكان الأيزديين ليسوا كرداً، والحقيقة أنهم كرد أقحاح، بل إن كثيراً من تراثهم الديني المكتوب والشفهي هو باللغة الكُردية- المترجم.

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

آلعزيز)[1]، وبمحاذاة منحدرات غاپان– مادان، وأَرْغنى– مادان، إلى ساسون وفارقين، بقيت القبائل غير متوزعة إطلاقاً حتى الثلاثينيات من القرن الماضي.

ثالثاً– باشاوية أرضروم[2]: كانت مرتبطة بولايات طَرابزون وسِيواس وديار بكر، وشكّلت باشاوية من الدرجة الثانية والثالثة[3]. وقد تقلّصت الحكمداريات الكُردية التي أسّسها **ملا إدريس**، واقتصرت على چالدير وقارص خلال الحرب الحدودية.

وعلى أية حال بدأت العلاقات الكُردية تستعيد قوتها خلف الطرق العسكرية الرئيسية بعد عام (1750 م). إن حصن خِلاط عاصمة شاهى أرمن (ملوك أرمينيا في القرن الثاني عشر)، وقلعة أَرْجيش، وبَرْگري Bergri، وتقع كلها على طول الشواطئ الشمالية لبحيرة **وان**، هيمن عليها الانحطاط، إلى حدّ ما بسبب العبور المتكرر للجنود الأتراك. أما الحصن الصخري المنيع في بايزيد، والواقع على أقدام جبل آرارات،

---

1 – تسمى خَرْبُوت، ومن أسمائها: خَرْتَبِرْت، وحِصن زياد، وآلازيغ، وألعَزيز– المترجم.

2 – إن الخريطة الرسمية للدولة العثمانية المقدمة إلى مؤتمر برلين سنة (1878 م) تجعل أرمينيا الكبرى ضمن باشاوية أرضروم.

3 – خلاط، قارص، بيازيد، وان، بدليس، مُوش، كيغي، وأَرْزَنْجان؛ جميع هذه الأقاليم كانت تحكمها أسر أرمنية وكُردية بالوارثة إلى أن جاء الاحتلال العثماني.

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

فكانت تحكمه عائلة بهلول باشا الأرمنية الأصل، وكانت نادراً ما تكترث لباشا أرضروم.

أما مدينة **وان** بقلعتها الشهيرة، والعاصمة القديمة للإمبراطورية الأرمنية– الأورارتية[1]، فكان يحكمها أمراء وطنيون، وغالباً ما كان يترأّسها زعماء يزدي شهر، وهذه العائلة الأيزدية من الأمراء كان أصلها من هكّاري الواقعة على امتداد الجبال المحاذية لأذربيجان الفارسية. وفي هذه الجبال عاش الآشوريون المسيحيون أيضاً بقيادة **البطريرك مار شمعون**، وكذلك القبائل الكُردية من شكاك وهارتوشي.

وعندما زار السلطان العثماني **مراد الرابع** (1623– 1640 م) هذا الإقليم أصدر فرمانات كثيرة، تعفي الأمراء الحاكمين للقلاع الأرمنية من الضرائب، وسرى مفعولها حتى العصر الحديث. وأما المنطقة الواقعة جنوبي بحيرة وان، ووديان مُوك (Moxune قديماً) الجبلية الجميلة، وشاتاخ (كردوخ العليا في أرمينيا الكبرى قديماً) فكانت تحت سيطرة عائلة **عَقْدال خان** التي لم تعترف أبداً بأية سيادة أخرى.

وأما غربي بحيرة وان ففي بدليس حكمت سلالة **شرف خان**، من اتحاد روژكي Roujeki، وسليلة العائلة الأرمنية الأرستقراطية رشتونيك

---

1 – سبقت الإشارة إلى الخلاف بين الباحثين الكُرد والأرمن حول (أورارتو)، ونعتقد أن البحث العلمي الأركيولوجي والإثنولوجي والإنثروبولوجي بشكل عام، إضافة إلى حسن النوايا، كفيلان بحسم هذا الخلاف في المستقبل– المترجم.

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

Reshtunik[1]، وكانت من الناحية الاسمية خاصة لباشاوية مُوش، حيث كانت سلالة علاء الدين بگ بابونتس قد حكمت كل المنطقة المروية من نهر مراد صو (الفرع الشرقي لنهر الفرات)، وكان من بين دعائم الحكم الذاتي الأساسية لباشاويات موش: دَرَه بگات الكُرد، والأمراء الأرمن في صاصون وخُويْت Khuyt الذين لم يشاهدوا تركياً واحداً حتى العصر الحديث.

1 – ذكر نيكيتين أن أمراء بدليس كانوا ينسبون أنفسهم إلى السلالة الساسانية، وأنهم غير محقّين في ذلك. (انظر باسيلي نيكيتين: الكُرد دراسة سوسيولوجية وتاريخية، ص 254). والملاحَظ أن عدداً من الأُسر التي تزعّمت القبائل الكُردية قديماً كانت تنسب نفسها تارة إلى أسر عربية ذات شأن (مثل الأسرة العباسية، أو المروانية الأموية)، وتارة إلى أسر فارسية (كالأسرة الساسانية)، لأغراض دعائية اجتماعية وسياسية– المترجم.

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

الفصل الخامس

الثّورات الكُردية ضدّ الأتراك

(1830 – 1847 م)

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

1

الإرهاصات الأُولى للمقاومة الكُردية

كتب ڤون مولتكه Von Moltke[1] سنة (1838 م) ما يلي:

" **من المعروف حقاً أن الإمبراطورية العثمانية كانت تضمّ مناطق واسعة لم يكن الباب العالي يمارس فيها سلطة حقيقية، ومن المؤكد أن الپاديشاه (السلطان التركي) كان عليه أن يعيد فرض سيطرته على مناطق واسعة ضمن أراضي إمبراطوريته، وكانت الأراضي العليا لكُردستان بين دجلة والحدود الفارسية تنتمي إلى هذا الصنف من المناطق** ".

إن المجزرة التي دُبّرت للجيش الإنكشاري عام (1826م) في القسطنطينية، والضغط التدريجي على مراكزهم الرئيسية في الأقاليم من قبل السلطات العثمانية، وإحلال جيش نظامي مليشيا محلّهم، كانت تعدّ

---

1 – Helmuth von Moltke: Briefe über Zustande und begebenheiten in der Türkei, aus den Jabran. 1835 bis 1839. Third edition (1877). Letter 45th. P. 266.

ڤون مولتكه ضابط بروسي شاب، أُعير إلى الدولة العثمانية لإعادة تنظيم جيشها، ورافق الجيش العثماني خلال عملياته في تلك الأعوام لقمع الثورات الكُردية.

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

بالنسبة إلى الكُرد تحوّلات ذات طالع سيّئ، وكان يراد بها تهديد النظام القديم الذي استقرت عليه الأمور، ومن ثَمّ تدمير ميزاتهم نفوذهم العريق المتوارث. إن هذه الإصلاحات الراديكالية الجذرية التي تبنّاها الباب العالي دقّت ناقوس الخطر، وأيقظت الإقطاعية الكبيرة المنسجمة مع الوضع الكُردي كنظام للمجتمع.

وإلى جانب هذه الجهود الإصلاحية كانت الإمبراطورية العثمانية تخرج من كارثة إلى أخرى، مثل انتصار اليونان في حربها لأجل الاستقلال عام (1828 م)، والهزيمة المنكرة التي لحقت بالإمبراطورية العثمانية في الحرب الروسية- التركية بين (1828- 1829 م)، والمعاهدة الناجمة عن ذلك معاهدة (أُونْكيار إسْكَلَه سي)، والتي بموجبها وضعت تركيا نفسها تحت الحماية الروسية، وأخيراً زحف الجيش المصري بقيادة **إبراهيم باشا**[1] في آسيا الصغرى، واقترابه من بوّابات القسطنطينية.

إن هذه الأحداث أضرمت من جديد الرغبة العارمة في الاستقلال التام عند بعض الزعماء الكُرد، وإذا كان اليونانيون والمصريون الذي

1 – إبراهيم باشا بن محمد علي باشا حاكم مصر حينذاك، والأسرة من أصل كُردي، تعود جذورها إلى مدينة آمَد (ديار بكر)، وهذا أمر تأكدنا منه، وكتبنا دراسة حول ذلك في كتاب لنا بعنوان (عباقرة الكُرد في القيادة والسياسة)، من منشورات مؤسسة مُوكِرْياني، أربيل– المترجم.

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

كانوا تابعين للباب العالي استطاعوا إلحاق الهزيمة بالجيش التركي، ويحققوا الاستقلال، فلماذا لا يؤكد الكُرد وجودهم بهذه الطريقة؟!

ولا يمكن إطلاق كلمة (تمرد) على عمليات الكُرد في هذه المرحلة الحاسمة، إنهم لم يكونوا يريدون دفع الضرائب للأتراك (الروم) المهزومين، وأرادوا أن يحكموا مناطقهم الموروثة طبقاً لأفكارهم، وبما أنهم كانوا محكومين بإدارات الدولة المنظمة فقد كان أبناء القبائل عملياً ودائماً في حالة تمرد، وسط الفوضى المزمنة التي كانت سائدة في كلتا الإمبراطوريتين المجاورتين[1].

وبعد معاهدة أندريانوپل Andrianople مع روسيا سنة (1829 م) اغتنم الباب العالي وجود جيش نظامي جديد على الحدود الشرقية، فاستخدمه لقهر الحكام الأصليين، وإحلال باشاوات من أصل تركي محلهم، " **إن ماردين كانت من أولى المدن التي تمرّدت لصالح الوضع القديم، وأصبح كل ما هو أوربي منبوذاً في نظر الكُرد، واعتبروا اللباس العسكري الجديد سبب المصائب كلها** "[2].

وتركزت الحملة التركية على هذه القبائل الرافضة للوضع الجديد في فترتين محتلفتين:

---

1 – المقصود: الإمبراطوريتان العثمانية والفارسية– المترجم.

2 - William Ainsworth and H. Rassam: Notes on a Journey from Constantinople to Mosul in 1839 – 1840. in the Journal of the Royal Geogr- Society. (1840) p. 324.

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

- في الفترة الأولى استمرت الحملة خلال (1834 – 1839 م)، وقد هُزم الجيش التركي في نِزِيب[1] وفي ممرات الأناضول هزيمة نكراء من قبل المصريين، بقيادة **إبراهيم باشا**، ونتيجة لذلك توقفت الحملة لمدة ثلاث سنوات.
- أما الفترة الثانية فامتدت بين (1842 – 1847 م)، واتّسمت كلتا الفترتين بالأسلوب التركي التقليدي، من حيث ارتكاب المجازر، وتعذيب الآلاف من الكُرد الأبرياء، ومن بينهم النساء والأطفال، إضافة إلى دمار وحرق مقاطعات مأهولة بالكُرد على نحو كامل، ونشر بؤس لا مثيل له فيها[2].

لقد قاد الحملة الأولى **محمد رشيد باشا**، الحاكم العثماني لديار بكر، وكانت ديار بكر مركزاً لقيادة كُردستان، وحشد العثمانيون فيالق كاملة من الجنود، إضافة إلى خيّالة من الحراس، وفرسان، ومدفعية، لقد حشدوا كل تلك القوات للسيطرة على التمردات الكُردية، ومن المؤسف أن بعض زعماء المرتزقة الكُرد انضموا إلى الجيش التركي، وحاربوا شعبهم.

وانطلق **محمد رشيد باشا** من سِيواس، وهاجم قبيلة مِهراني الأيزدية في وَيرانْ شَهْر وجبل سِنْجار، واستمر الصراع سنتين بسبب ما أبداه

---

1 – نصيبين– المترجم.

2 - Cf. von Moltke: Briefe… op. cit: Letters No. 43 (p. 275- 276) et passim.

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

الأيزديون من مقاومة عنيفة، وإزاء القسوةِ التركية المثيرة للقرف لجأ الزعماء العشائريون، مع عوائلهم وقطعانهم، إلى قمم الجبال وإلى الكهوف، للظهور ثانيةً حينما تصبح الظروف مناسبة.

وقد أجبرت السلطات العثمانية الكُرد والتركمان على دفع ضرائب سنوية، وإمداد الجيش بالجنود. وفي سنة (1836 م) تحوّل محمد رشيد باشا إلى الشرق ليهاجم القبائل الكُردية المقيمة على ضفاف دجلة، وطوال شهور عديدة حاول اقتحام جزيرة ابن عمر، حيث المركز الرئيسي لعائلة بدرخان بگ العظيمة، وقد كبّد بدرخان بگ الجيش التركي خسائر فادحة، وانسحب بعدئذ إلى جبل جودي.

وفي هذه الأثناء تعزّز الجيش التركي بانضمام زعماء كرد آخرين إليها، وكانوا قد مُنحوا لقب (باشا)، فساعدوا الجيش كمرشدين وكحرس أمامي، ليحاربوا عشائرهم وأقاربهم، وذكر شاهد عيان أن بدرخان **بگ** ما كان ليضطر للانسحاب إلى الجبال لو أن حليفه **محمود خان بگ**، الذي كان يزحف من الشمال مع حوالي عشرين ألفاً من الكُرد والآشوريين، أسرع بما فيه الكفاية في عبور نهر بوتان صو Bohtan Su بوساطة الجسر في خاشخار Khashkhar، قبل أن يتمكن جيش تركي آخر بقيادة **حافظ باشا** من نسف الجسر بنيران المدفعية.

وقد حاولت قوات محمود خان أن تخوض النهر قرب تيلو Tillo– صلة الوصل بين بوتان صو ونهر دجلة الذي يصبح في الربيع أكثر

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

غزارة وعمقاً– لكنها اصطدمت بالقوات المعادية، واندلع قتال شرس، " **إن فرسان محمود خان غير المنظمين اندفعوا يصرخون في الجنود العثمانيين المنظّمين، مستعملين حرابهم الطويلة وخناجرهم، ولكن في النهاية كان النصر للمدافع وللبنادق العثمانية**"[1].

وبعد فشل محمود خان في الوصول إلى بدرخان بگ عاد مع جنوده، وتحصّن في جبال أردوس Ardos (السلسلة الجبلية الثانية جنوبي بحيرة وان)، وحدث أن مات رشيد باشا في ديار بكر بالكوليرا، كما مات معظم جيشه بالمرض نفسه.

وكان حافظ باشا الذي عُيّن خلفاً للقائد المتوفى شركسياً، وترعرع في قصر السلطان، وبما أنه كان قوقازياً كان يفهم طبيعة الكُرد، واستعمل كل براعته لبثّ الشقاق بين القبائل الكُردية، ومنحهم الوعود ليكسبهم إلى الجانب التركي، وكان ناجحاً في إشعال نيران التنافس بين زعماء الكُرد الكبار، ومن بين هؤلاء فيدي خان بگ Védé Khan زعيم شيروان (شمالي بوتان صو)، وكرد محمد باشا الذي انضم إلى القوات العثمانية ليحارب ضد أشقّائه الكُرد.

1 – هذا التقرير دوّنه أ. مانوغلي A. Manogli، المستشار وشاهد العيان، وهو موجود في مخطوطات الأب س. هـ. پيرغالامين Ch. Pirgalamian.

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

2

ثورة أحمد باشا راوَنْدُوز

(1836 م)

كان الجيش العثماني يلقى صعوبة شديدة في التصدي للبگ الأيزدي **أحمد باشا** الملقب (مِير كُور)؛ بگ راوندوز تلك المقاطعة الجبلية الواقعة بين نهر الزاب الكبير[1] والحدود الإيرانية، وكان أحمد باشا أشرس قائد متمرد في عهده الأول، وكانت سلطته تمتد من دجلة إلى أُشْنُو Ushnu في أذربيجان الإيرانية[2]، وكان قد ألحق بأراضيه كل القلاع الكُردية في عمادية وزاخو.

وينحدر أحمد باشا من عشيرة رَواندي Rawandi، وادّعى أن أجداده يحتفظون بالسلطة منذ عهد السلطان **صلاح الدين الأيوبي**[3]،

---

[1] – نهر الزاب الأعلى– المترجم.

[2] – أشنو بلدة كُردية– المترجم.

[3] – تنتمي أسرة صلاح الدين إلى قبيلة رَوادي، والأرجح أن اسمها الأصلي بالكُردية هو (رَوَنْدي= راوَنْدي) أي (الرحّالة)، وقد يكون الأصل من (رُو آدي) أي (شمسانيون/أتباع العقيدة الشمسية)، والمعروف أن الكُرد، مثل سائر الشعوب

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

وكان يزوّد قواته من قبائل صُوران وشِكاك وهارْتُوشي، ولهذا السبب كانت عائلته في عداء شديد مع أمراء البابان في الجنوب، ومع البدرخانيين في الغرب؛ لأن **مِير كُور** لم يكن يعترف بأي شخص أعلى منه مقاماً.

وفي البداية لم تستطع القوات العثمانية الرئيسية من شق طريقها للوصول إليه، إنه كان يعتصم بقلعته الرابضة على قمة شاهقة، وكان هو نفسه مضرب المثل لرجاله في استعمال القوس، وبالرغم من أن عينه اليسرى كانت عمياء- ومن هنا جاء لقبه (كُور)- فإنه كان مشهوراً باستعمال القوس.

وقد أمر الباب العالي كلاً من باشا بغداد وباشا وان بإرسال الفرق النظامية والباشْبُوزوق[1] المشهورين بالتوحش والشراسة، ليعصفوا بقلعة **أحمد كور** ويسيطروا عليها. وبعد انقطاع إمدادات المياه عن القلعة استسلم مير كور بشروط المعاملة الشريفة، فنُفي إلى إستانبول مع عائلته وزعماء عشيرته.

الآرية، كانوا من أتباع العقيدة الشمسانية، وإذا صحّ ما ذهبنا إليه فإن اسم هذه القبيلة يكون من أعرق الأسماء الكُردية في التاريخ الكُردي- المترجم.

1 – باشْ بُوزُوق لفظة تركية مؤلفة من باش (رأس)، وبُوزوق (مُخْتلّ، غير متّزن)، كانت فرقة الباش بوزوق غير نظامية، مؤلفة من عناصر تميل بطبعها إلى الشغب والفوضى، وكان معظمها من الألبان والأكراد والشراكسة. انظر نوفل نعمة الله: كشف اللثام، ص 234 ، هامش 9- المترجم.

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

واستمر الهجوم التركي على الكُرد في منحدرات ساسون– مُوتْكان، وفي الجزء الرئيسي من الجبال العالية وفي الأودية الضيقة لمدينة بدليس، وقد أبدت قبيلة بادِيكان Badikan مقاومة ضارية للعثمانيين، شأنهم في ذلك شأن سائر المقاتلين الكُرد والأرمن الذين اشتركوا في الحرب تحت قيادة **حاجي زِيلال آغا** في لِيجَه Lije ونَرْجيكي Nerjiki[1]؛ فهؤلاء الكُرد والأرمن لم يخضعوا أبداً للباشاوات العثمانيين، ولم يدفعوا أية ضرائب للسلطان.

إن **رجب بگ** زعيم هازُو Hazo و**تَمِر بگ** زعيم هَيْنِي Haini في شمالي ديار بكر حاربا سَرْ عسكر (القائد الأعلى) العثماني، لكن المدفعية التركية التي لم يعتدها الكُرد دمرت قلاعهم، وأحرقت قرى بأكملها، وحوّلتها إلى أنقاض، واعتقل العثمانيون القواد الكُرد ونفوهم.

وفي باسور Pasur المقاطعة الأكثر انعزالاً في كُوِينْجي Guinj على طول نهر الفرات، حارب رجال ونساء قبائل بَكْران ورَشْكُوتان بشجاعة، دفاعاً عن الوطن والشرف. وعلى عادة أسلافه قدّم **حافظ باشا** المكافآت للجنود الترك الذين كانوا يجلبون له رؤوس الكُرد وآذانهم وأصابعهم. وكان الجنود العثمانيون يعذبون السجناء ويطعنونهم بالحراب، ومن ضمنهم النساء والأطفال الذي حاربوا إلى جانب الرجال، وقد فتحت

1 - James Brant: Notes on a Journey through a part of Kurdistan in the Summer of 1838. H.M. Consul at Erzerum, in Journal of the Royal Geographical Society. Vol X. (1841) pp. 356 – 358.

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

النساء الكُرديات النار على الجنود الترك، ونزعت واحدة منهن أحشاء مهاجمها التركي بخنجرها[1].

وبعد عام من تلك المجازر، وعندما هُزم الجيش العثماني نفسه بقيادة حافظ باشا في نزيب[2] سنة (1639 م)، وفُتك به من قِبل المصريين بقيادة إبراهيم باشا، قال العالم المثقف الشيخ زِيلان الكُردي: " **إنها دماء النساء والأطفال الكُرد الأبرياء الذين استغاثوا بالله للانتقام من رومي**[3] ".

1 - Von Moltke: Briefe… op cit. letters mentioned.

2 – نصيبين– المترجم.

3 – يقصد العثمانيين– المترجم.

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

3

ثورةُ الأمير بَدْرخان بَگ في جزيرة ابن عُمَر[1]

(1842 – 1847 م)

قلعة دَرْگُل:

في المرحلة الثانية من كفاح الكُرد في سبيل الاستقلال برز بدرخان بگ محارباً شجاعاً، ورجل دولة حكيماً وبعيد النظر، وقد أشرنا آنفاً إلى انتصاره على الجيش العثماني وانسحابه إلى جبل جُودي. والحق أن أكمل وصف كُتب عن بدرخان بگ كان على أيدي مبشّرَين أمريكيَّين[2] طلبا منه أن يزوراه في دَرْ گُل Der gul (بوّابة الأزهار)؛ إن هذين الأمريكيين قدِما من بلاد فارس، وكانا ضيفي ذلك الزعيم، وفي حزيران سنة (1846م) كتبا ما يلي:

---

1 – اسم جزيرة ابن عُمر بالكُردية: جزيرة بُوتان– المترجم.

2 - Messrs. Wright and Breath, in Missionary Herald, aweekly published in Boston, Mass. Volum 42nd. (1846) pp. 378 – 381.

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

" على بعد ثمانية عشر ميلاً شرقي جزيرة ابن عمر، عبر نهر دجلة، كانت (دَرْ گُل) موطن إقامة بدرخان بگ، إنها بلدة تضم مئات قليلة من البيوت المبنية من الحجر والطين على سفح جبل جودي. كانت قلعة بدرخان واقعة بجانب القرية على حافة المنحدر، وهي تطل على جدول ماء صغير يجري ليصبّ في نهر دجلة.

وثمة أشياء فريدة كانت تحدث في (دَرْ گُل)، وتحديداً في فناء القلعة، وكانت القلعة محاطة بحراسة من المحاربين الأيزديين وزعماء عشائر كُردية أخرى، وكان بدرخان يوزّع المال على مئات الأرامل والأطفال، وكان هؤلاء يرفعون أنظارهم إلى السماء، متوسّلين إلى الله أن يبارك لبدرخان في كل شيء.

إن بدرخان بگ كان يفخر بأنه رجل الكلمة الواحدة؛ أي أنه كان يفعل ما يقول، وقبل أن يسري الضعف إلى صفوفه ويقوى الأتراك، ورغم أن السلطة انتقلت من يد إلى أخرى منذ سنة (1846 م)، فإنه لم يخالف كلمته.

كانت ثروته طائلة، وامتدت سلطته من الحدود الفارسية في الشرق إلى أقصى ميزوبوتاميا، ومن بوّابات دياربكر إلى بوّابات الموصل، وذاعت شهرته، وتقريباً كان كل زعيم في شمالي كُردستان يأتي ويقدّم احترامه وتقديره لبدرخان بگ، جالبين معهم الهدايا من الأموال والجياد والبغال والحاجات الثمينة الأخرى. وحتى نور الله بك

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

في هكّاري، والذي كان يُعدّ أحياناً أرفع مقاماً من بدرخان، وكذلك محمود خان من مُوكس، كانا يعتبران زيارته شرفاً كبيراً لهما.

وكان لفكرة القدر أثر كبير في تعزيز قوته، وشلّ كل يد ترتفع ضده. وبالرغم من أن الزعماء الروحيين الذين تحت إمرته كانوا ضجرين ونافدي الصبر من سلطته، فإنهم لم يجرأوا على رفع إصبع المعارضة ضده، مؤمنين بأن الله هو الذي أعطاه، ومن العبث الوقوف ضد ذلك.

إن المذنب ما كان ليجد ملجأ له تحت سقف حكومة بدرخان، وإن الرشوة والتحيّز والمحسوبية التي غالباً ما كانت تفسد أسباب العدل في البلاد لم يعد لها وجود هنا. وكانت يد اللص اليمنى تُقطع حالما تثبت إدانته، وما كان أحد ليصدّق ذلك الأمن الذي بات يسود في أكثر أنحاء كُردستان همجيةً ولصوصية وقتلاً.

إن بدرخان بگ كان يقضي وقتاً طويلاً في العبادة، وكان دقيقاً في تنفيذ عباداته الدينية، وحتى في ساعات العمل كان ينهمك في قراءة الصلوات، وهدى إلى الإسلام عدداً كبيراً من الأيزديين إما بالمناقشة وإما بالسيف ".

<u>برنامجُه السياسي</u>:

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

أحياناً بقوة شخصيته، وأحياناً بالعنف، بسط **بدرخان بگ** نفوذه على معظم زعماء العشائر شمالي الموصل. والجدير بالملاحظة أنه منذ وقت طويل جداً كان هؤلاء الكُرد على اتصال يومي وثيق مع المسيحيين الآشوريين والكلدان والأرمن في أقصى الشمال، ولذلك كان شعورهم القومي أكثر تطوراً، وكان وعيهم السياسي متقدماً أكثر على الوعي السياسي للحشود الكبيرة من الشعب الكُردي في گوتيوم القديمة؛ أي في سلسلة الجبال الواقعة بين نهري الزاب الأسفل وديالا، أضف إلى هذا أن الكُرد الشماليين كانوا يتألفون من العشائر التي ورثت العقيدة الأيزدية، ولم يكن ذوو الأصل المسيحي بينهم قليلين.

ويبدو أن هذه الاعتبارات كوّنت أساس البرنامج السياسي عند بدرخان بگ، وقد عبّر عن أول إشارة إلى نواياه عندما رفض أن يستجيب لطلب الحكومة العثمانية بإرسال فرق عشائرية إلى القتال ضد الروس سنة (1828 – 1829 م)؛ وخلافاً لذلك فإنه فعل كل ما في وسعه ليفوز على محمود خان في مُوكس و**نور الله بگ** في هكّاري، من أجل تحقيق مشروعه المتمثّل في (كُردستان مستقلة).

إن احتلال القلاع الكُردية واحدة تلو أخرى خلال الحملة العثمانية (1834 – 1838 م)، والممارسات الوحشية التي تعامل بها الأتراك مع النساء الكُرديات وأطفالهن؛ كل هذا علّمه أن من العبث الصراع ضد الترك بيد واحدة، فاليد الواحدة لا تصفّق.

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

الهدف الأكبر:

كان بدرخان بگ يهدف إلى تكوين كُردستان مستقلة ضمن الحدود التي سبق أن وصفها المبشران الأمريكيان، وعندئذ سيكون الأمير الحاكم تحت السيادة الاسمية للفرس، وسوف يمنح سلطات كاملة لزعماء العشائر الكبار في الحكم الذاتي. أما الأرمن والآشوريون فسينظّمون الدولة، وسيضمنون صداقة دولتي روسيا وجورجيا. وإن المذبحة المروّعة التي حدثت سنة (1843 م) لعشرة آلاف آشوري كان العنصر الفاعل في نجاح مخطط استقلال كُردستان، ويقال: إن ذلك المخطط كان يُعزى بقدر محدود إلى الغيرة والتنافس بين البعثات التبشيرية المتحمّسة جداً.

وحينما اعتلى **السلطان عبد المجيد** عرش السلطنة العثمانية بعد هزيمة نزيب سنة (1839 م) بشّر بعهد الإصلاحات (تنظيمات)، وأعاد النظر في سياسة الحملات العسكرية ضد الكُرد، وحاول أن يفوز بطاعة الزعماء الكُرد غير الخاضعين له بالوسائل السلمية. وابتداء من سنة (1840 م) عُيّن الموظفون الكُرد الذي يجيدون اللغة التركية للتوسط بين الباب العالي و بدرخان بگ.

وكان بدرخان بگ قد رفض الذهاب إلى أرضروم عندما طُلب منه ذلك، ولكنه عبّر عن تبعيته الرسمية للسلطان، بل إنه أرسل الهدايا إلى باشاوات أتراك مرتشين، ووافق على السماح للموظفين العثمانيين بتجنيد عدد محدّد من الكُرد في الجيش العثماني.

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

ولم يكن موضوع الانضمام إلى الجيش العثماني مقبولاً عند شباب الكُرد الجبليين الأقوياء، الذين ألفوا الحياة الحرة في الأماكن الطلقة وفي الجبال، وإن أولئك الذين أجبروا على الخدمة في الثكنات العسكرية التركية الموبوءة إما ماتوا بالأمراض، وإما فرّوا من الجيش. وذكر شهود عيان أنهم رأوا شباب الكُرد الأصحّاء يقيّدون بالأغلال، ويساقون إلى الثكنات تحت سياط الجنود الترك، وكان من الصعب على بدرخان بگ أن يغضّ الطرف أو يصمّ أذنيه عن الشكاوى التي وصلته من زعماء العشائر الكُردية في كل أرجاء كُردستان.

وفي هذا الطور الثاني كان موضوع الخدمة العسكرية، بشكل رئيسي، هو الذي جعل الكُرد ينضمون إلى جانب الزعيم العظيم، ثم جاء دور الضرائب الثقيلة، ودور قيام السلطات العثمانية بإحلال حكّام أتراك محل الزعماء الكُرد الذي كانوا يحكمون بشكل وراثي، إن هذه الشكاوى لم تدع مجالاً للشك عند الزعماء الكُرد في أن (الباب العالي) قد قرر أن ينهي جميع امتيازاتهم المعروفة والهامّة، وأن ما يسمّى باسم إصلاحات (تنظيمات) ليس إلا مجرد قناع لقمع شعبهم.

بل إن عشائر جبل طوروس وعشائر الجنوب التي كان من المفترض أن تكون قد خضعت للترك خلال سنوات (1834 – 1839 م) رفضت أن تزوّد الجيش العثماني بالجنود، وأن تدفع الضرائب. أما الشباب الذين بلغوا سن الخدمة العسكرية فقد فروا إلى الجبال لينجوا من

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

الأسر، وأصبح كل ممرّ على طرق القوافل يعجّ بالعصابات المسلحة التي كانت تنصب الكمائن، وتسلب المسافرين، وكتب أحد المعاصرين: " **إن انعدام الأمن الذي كان سائداً من جبال آرارات إلى بغداد صار أسوأ مما كان عليه قبل إعلان ميثاق الإصلاحات**"، وأضاف يقول: " **لأن الباشاوات العثمانيين حاولوا إخضاع الكُرد للخدمة في الجيش** ".

وكانت السلطات الكنسية المسيحية في إستانبول، وفي مدن الأقاليم، لا تتحدّث باسم رعاياها النصارى فقط، بل باسم الكُرد العاجزين عن الدفاع عن أنفسهم، وعن المزارعين الأيزديين، وقد بعثت تلك السلطات باحتجاجات متكررة إلى الباب العالي على ازدياد حالات السلب الذي كان يقوم به الكُرد الفارون من الخدمة، وبعض الزعماء المتمردين، فقرر الباب العالي القيام بحملة جديدة بقيادة **الماريشال عثمان باشا** الذي نقل مركز قيادته من أرضروم إلى ديار بكر كتنازل لروسيا.

وفي سنة (1844 م) دعا **عثمان باشا** الزعماء الكُرد للحضور إليه في ديار بكر، لمناقشة طرائق جباية الضرائب، وتزويده بالجنود الكُرد. ولم يهتم بدرخان بگ بدعوته، وعلى العكس من ذلك لبس بدرخان بگ جبّته المزركشة، وعمامته الضخمة، ولفّ وسطه بشال برّاق ومناديل حريرية، وارتدى سرواله الحريري، واحتذى حذاء أحمر معقوفاً إلى أعلى من الأمام، وانطلق ببعض الفرسان المخلصين من عشيرته، وهم يحملون حراباً بطول عشرة أقدام، وبنادق بدائية.

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

وانطلق بدرخان بگ في جولة زار خلالها زعماء العشائر المحليين، بدءاً من جزيرة ابن عمر وانتهاء إلى الشواطئ الجنوبية لبحيرة وان، وكان يُستقبل في كل مكان باعتباره أمير كُردستان، سواء من قِبل المسيحيين أم من قبل الفلاحين الكُرد، ودعا الجميع إلى الإسهام في خزانة الحرب، كي يبقى مخلصاً لقضية الاستقلال حتى النهاية، وفي بعض المناطق كان يستعمل القوة لجمع التبرعات من المواطنين، وهذا ما يمكن إثباته من شهادات المعاصرين لتلك الأحداث.

وكانت هذه الممارسات حجة أخرى بأيدي الموالين للحكم العثماني في إستانبول وفي الأقاليم الأخرى، فرفعوا احتجاجاً عنيفاً ضد (السلب) الذي كان يقوم به بدرخان بگ، وقد رفع بطاركة الملل المسيحية شكوى جماعية إلى الباب العالي، وأرسلت الرسائل إلى مجامعها الكنسية وإلى زعمائها للثورة ودعم الجيش العثماني بقيادة **عثمان باشا**، وقمع التمرد الكُردي؛ وسواء أكان طواعية أم لأسباب نفعية فإن تلك النداءات لم تلق آذاناً صاغية لدى الفلاحين المسيحيين الذين كانوا يقيمون في مناطق الكُرد أو بجوارها.

الحرب الكُردية – العثمانية:

وعندما اقتنع الماريشال عثمان باشا بعدم جدوى النداءات والمفاوضات حشد قوات كبيرة على ديار بكر جنوباً، وفي وان شمالاً. وفي الشمال كان على جيشه أن يزحف نحو هَكّاري– مُوكس على طول

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

ضفاف دجلة، وأن يبعثر أو يردّ قوات نور الله بگ ومحمود خان باتجاه مرتفعات بُوتان– بَرْواري، كي يهاجمها الجيش الجنوبي في ديار بكر، وذلك بهدف تطويق كل من **بدرخان بگ** والزعيمين **نور الله** و**محمود خان** في الجبال.

وكان من المستحيل سلوك طريق العمليات العسكرية في سنتي (1846 – 1847 م)، بسبب فقدان المصادر المحلية، ولأن القوى الأوربية كانت قد بدأت سياستها الشائنة تجاه (الترك الإصلاحيين)، لذلك كانوا مهتمين بأن يهدّئوا الوضع في الشرق[1].

وفي سبيل تجنب دمار شامل اجتمع الزعماء الكُرد وأمراء وان الأرمن، وتشاوروا في ربيع (1846 م)، ليعرضوا وساطتهم بين الباب العالي ومحمود خان. وبما أن الأطراف جميعها عانت المشقة وافق محمود خان على آراء الممثلين الكُرد والأرمن، بشرط أن يحصلوا على ضمان من عثمان باشا على شخصه وعائلته وممتلكاته، وأن يُعامَلوا بشرف، وقد قبل عثمان باشا شروطه، وأقسم أغلظ الأيمان على تنفيذها، فنزل محمود خان من الجبال، وسلّم نفسه للممثلين الذين سلّموه بدورهم إلى القائد العثماني.

1 – يقصد الكاتب أن الدول الأوربية تآمرت ضمناً مع (الترك الإصلاحيين) لضرب الثورة القومية في كُردستان– المترجم.

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

وبالرغم من الأيمان الغليظة والضمانات فقد سُلّم محمود خان– الذي ما كان ليُقهَر– إلى العساكر الترك والباشْبُوزق، فربطوه إلى شجرة بطريقة شنيعة، وجلدوه، وبصقوا عليه، ثم سكبوا العسل على وجهه، ليجتمع الذباب عليه بينما كانت يداه مربوطتين. وقد سلب العساكر الأتراك ونهبوا كل المقاطعة تماماً، وذبحوا النساء والأطفال، وهدّموا القلاع والحصون التي كانت تتمتّع بتاريخ عظيم، وحطّموا كل الأعمال المعمارية الأرمنية القديمة، وتحوّلت في معظمها إلى أنقاض، وتحققت مقولة: " **من هنا مرّ الترك** "[1].

وإلى وقت قريب كان السكان يشيرون إلى آثار الشظايا المتناثرة على بعض الجدران القائمة، وعلى (دابريز) Dabris الذائعة الصيت، والتي كانت معقلاً حصيناً للموكاتسيس الأرمن والريشتونيس، وفي وقت لاحق للبارونات الكُرد والأرمن في أرض مُوكس، الذين قاوموا لقرون طيلة الفرس والرومان والعرب، ولكنهم الآن استسلموا، ليس بسبب

1 – لا يخفى على كل قارئ للتاريخ أن الترك ليسوا من الشعوب العريقة في غربي آسيا، وأن مواطنهم الأصلية هي في سهوب آسيا الوسطى، وقد غزوا إيران وسائر مناطق غربي آسيا حتى سواحل البحر الأبيض المتوسط بدأً من القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي)، واحتلّوها، وأقاموا فيها إمبراطورية، وكانت القبائل التركية الغازية؛ سواء أكانت من الغُزّ (الأُوغوز) أم من السلاجقة أم من العثمانيين، تشيع الدمار والتخريب والقتل في البلاد التي كانت تمرّ به، فضربت شعوب غربي آسيا هذا القول مثلاً – المترجم.

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

شجاعة الترك؛ إذ إنه افتراء مشين القول بأن الترك أشجع من الكُرد والأرمن والآشوريين، ولكن بسبب الوسائل التقنية الغربية الحديثة، ومكائد الساسة المرتزقة.

وحالما استسلم **محمود خان** حشد الترك جيوشهم في وادي بُوتان بعد أن تلقّوا تعزيزات وأسلحة، إضافة إلى فرقة ألبانية متخصصة في قتال الجبال، وعلى الرغم من أن القسم الأكبر من الجيش العثماني كان قد تم تدريبه بشكل كبير، لكن ذلك الجيش كان يمتلك معرفة أفضل في مجال الشتم والسباب.

إن فرسان بدرخان الكُرد الخبيرين بكل بوصة في الجبال والوديان فاجأوا الفرق التركية وأبادوها. لكن الأقدار كانت ضد بدرخان الشجاع، ففي الوقت الذي كان فيه الانتصار في متناول يده انقلب عليه ابن أخيه الذي كان قائد أحد أجنحة الجيش الكُردي، وانضم إلى جانب العدو[1].

1 – اسم ذلك الزعيم يَزْدانْ شَير، وهذه واحدة من السلبيات التي مارسها بعض القادة الكُرد ضد الحكومات والثورات الكُردية، بدءاً من هارباگ كبير القادة الميد الذي خان أستياگ (أستياجيس) آخر ملوك الميد، وتآمر على الدولة الميدية مع كورش الثاني الأخميني سنة (550/549 ق.م)، وانتهاءً بزعماء القبائل الكُرد الذين خانوا ثورة شيخ سعيد في شمالي كُردستان سنة (1925 م)، وخانوا جمهورية مهاباد الكُردية سنة (1946 م) في شرقي كُردستان، وخانوا الثورة الكُردية التي قادها المرحوم مَلا مصطفى بارزاني في جنوبي كُردستان (إقليم كُردستان – العراق) خلال

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

وأصبح بدرخان بگ محاصراً ومقطوعاً عن الإمدادات من كل الجوانب، فنزل في آب/أغسطس (1847 م) واستسلم للماريشال عثمان باشا الذي استقبله بشكل جيد، وسمح له أن يحتفظ بسيفه، وعوملت عائلته بشرف، وأُخذت منه خزانة الحرب بحجّة الحفاظ على سلامتها، في حين أصبحت قلعته ومقاطعته خراباً، غير أن الزعماء القبليين الذي كانوا مخلصين لبدرخان طُعنوا بالحراب بشكل فظيع ومروّع.

أما بقية الزعماء الذين لم يستسلموا للعثمانيين فهربوا إلى بلاد فارس، أو إلى ما وراء القوقاز، أو اختفوا في الحصون الجبلية النائية، "**وإنه لمن المستحيل أن تتخيل الوضع المأسوي لهذه البلاد ذات الحظ التعيس، فقد تحوّلت ثلاثة أرباع وديانها إلى أنقاض، واحتشد السكان في المدن حيث انتشر وباء الكوليرا في طول البلاد وعرضها**"[1].

وأما **بدرخان** نفسه فقد أُخذ مع عائلته وأقربائه مرفقاً بفرقتين من المشاة إلى إستانبول عن طريق خَرْبوط وطَرابزون، ثم نفي إلى فارنا[2]،

ستينيات وسبعينيات القرن العشرين، وما زالوا يتعاونون مع الجهات التي تقهر الكُرد، ويعملون معها جنباً إلى جنب لقمع المشروع التحرري الكُردي– المترجم.

1 - Xavier Hommaire de Hell: Voyage en Turquie et en Perse, (1854) vol. 11 p. 494.

2 – فارنا مدينة تقع في جنوب غربي تركيا، وهي المدينة نفسها التي نفي إليها المفكر الكُردي الشيخ سعيد نُورْسي المشهور بلقب (بديع الزمان) صاحب (رسائل النور)، حينما تصدّى لسياسات مصطفى كمال (آتاتورك)– المترجم.

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

واحتُجز الآخرون في جزيرة كريت وفي كانديا Candia، ولكن أُطلق سراحهم سريعاً لأسباب سياسية؛ إذ باتت حرب القَرْم بين الإمبراطوريتين العثمانية والروسية (1854 – 1855 م) وشيكة الوقوع.

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

5

التاريخ يُعيد نفسَه

(1848 - 1890 م)

إن نقل القواد الكبار من كُردستان كان مؤقتاً في معظم الحالات، ولم يكن ذلك يعني أبداً هدوء المنطقة، فقد نشبت تمردات جديدة بين سنتي (1850 – 1851 م) بين القبائل نفسها، وفي الجبال ذاتها، تلك القبائل والجبال التي ظن الأتراك أن الهدوء خيّم عليها إلى الأبد، وفي الحقيقة هناك أعاد التاريخ نفسه على نحو مستمر ومتّسق أكثر من أي مكان آخر.

ومهما يكن فإن توقّع حرب قادمة ضد الروس (1854 - 1855 م) جعل الباب العالي يتبنّى سياسة استرضائية نحو القبائل الكُردية، وبناء على ذلك أُطلق سراح كثير من زعماء العشائر الشباب الذين قُبض عليهم قبل سنوات قليلة، وأُرسلوا إلى جبالهم لتجنيد العساكر كذخائر لمدافع العثمانيين، وأصبح طلب الضرائب السنوية والتزويد بالجنود مصدر مصادمات مستمرة بين السلطات العثمانية والقبائل الكُردية.

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

إن صفحات كاملة يمكن أن تُملأ بالحديث عن الحملات العسكرية التي أُرسلت لجمع ضرائب الماشية وتجنيد الشباب، وكذلك عن المقاومة الكُردية المستمرة. وفي تلك الفترة تكررت أحداث (1843 – 1847 م)، ولكن على نطاق أصغر وفي مناطق معزولة، وشُكّلت قوات سلطانية خاصة، وأُمرت بمرافقة جامعي الضرائب، إلى جانب أفواج من الجيش النظامي، لجمع المال والجنود من الكُرد.

ونتيجة لحرب القرْم هاجرت أعداد غفيرة من الشركس والقبائل المسلمة الأخرى من القوقاز إلى تركيا، وبما أنه سُمح لهؤلاء باختيار بعض أفضل المراعي في كُردستان، فقد دخلوا في صدام مباشر مع القبائل الكُردية التي اعتبرت لقرون طويلة أن تلك الأرض هي ميراث لها، ونتيجة لذلك قامت الحكومة باتخاذ إجراءات كفيلة باستقرار المهاجرين الشركس بين القبائل الكُردية الرعوية (كُوچَر) Cocher في مستوطنات مستقرة، وخلال هذه الفترة استقرت أعداد كبيرة من أولئك المهاجرين في مجتمعات زراعية، وبصورة رئيسية في الأراضي التي كان من المفترَض أنها أملاك الدولة (مِيري).

وإن استقرار العشائر المتنقلة كان حيوياً بالنسبة للفلاحين الهادئين وسكان المدن، وقد سُجل أنه في السبعينيات كان أسقف الأرمن يهتم بنفسه بالكُرد الذين هم قيد الاستقرار، يعلمهم كيفية صنع المحاريث والأدوات الزراعية، وزراعة الحقول، ويُبارك لهم محاصيلهم، إلى جانب

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

صنع الأدوات التي تقتلع الأعشاب الضارة، وقد أكسبت هذه الأمور القبائل الكُردية الرعوية عادات ثابتة، وشرعت في التفكير والتعلم. إن هذا النهج استمر في ثبات بين القبائل الشمالية، وأحدث تقارباً بين العمال الزراعيين، وغالباً ما كان الفلاح والعامل الكُرديان مُعرَّضين للسلب واللصوصية مثل جاره المسيحي.

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

6

ثورة الكُرد في بلاد فارس

(1880 - 1881 م)

سبّبت الحرب التركية- الروسية سنة (1877 م) دماراً كبيراً في الأقاليم الشرقية من تركيا، فإن الحرب ذاتها، إضافة إلى ما نتج عنها من المجاعة والطاعون، أهلكت الكُرد والمسيحيين على حد سواء، وقد أشعلت هزيمة الترك النيران الكامنة في نفوس الكُرد من أجل الاستقلال، لكن كانت هذه المرة موجّهة ضد الفرس، على الأقل في البدايات.

إن **الشيخ عبيد الله شَمْدِينان** (في منطقة هَكّاري قرب الحدود الإيرانية) كان زعيم الحركة، وهو ابن الشيخ المبجّل (طاهر)، وقد اتّبع الشيخ عبيد الله خطوات بدرخان بگ، وقرّر تشكيل كُردستان مستقلة على الحدود. وفي عام (1878 م) وخلال غارة بعض الكُرد من عشيرة الشيخ اعتقل حاكم أورميا الإيراني بعض الكُرد المنتمين إلى عشيرة الشيخ عبيد الله، هذا إلى جانب اختطاف بعض الفتيات (كان الفرس مولعين جداً بالفتيات الكُرديات الحسناوات). وفي احتجاج مقدم إلى القنصل الإنجليزي كتب **الشيخ عُبَيد الله:**

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

" الشعب الكُردي له خصوصيته، ديانته مختلفة عن ديانة الآخرين، وكذلك تقاليده وأعرافه، والكُرد معروفون بين كل الأمم بأنهم مؤذون ومُفسدون[1]... إن زعماء وحكام كُردستان، سواء أكانوا رعايا للفرس أم للترك، وإن سكان كُردستان، سواء أكانوا مسلمين أم مسيحيين، قد اتحدوا وأجمعوا على أن الأمور باتت لا تطاق مع ممارسات الحكومتين التركية والفارسية، ومن الضروري أن يتمّ شيء ما، ولا سيما بعد أن فهمت الحكومات الأوربية قضيتنا، وتحققت من حالتنا السيئة.

إننا نريد أن تكون شؤوننا في أيدينا... وإلا فإن كل كُردستان سوف تضع زمام الأمر في أيديها، وهي غير قادرة على الاستمرار في تحمّل هذه الأعمال الشريرة المتواصلة، وهذا الاضطهاد الذي تمارسه هاتان الحكومتان بنيّات غير صافية ".

وكي يكون تهديده هذا مؤثراً فقد جمع الشيخ عبيد الله حوله بعضاً من أشجع زعماء الكُرد من المناطق المجاورة، وشكّل اتّحاداً سماه (التحالف الكُردي) ومن بين مستشاريه بحري بك ابن الزعيم الشهير بدرخان بگ. وأرسل الشيخ عبيد الله ابنه على رأس فرقة من الخيالة

1 – المقصود أن أعداء الكُرد شوّهوا سمعتهم، وأشاعوا بين الشعوب أنهم مؤذون ومفسدون– المترجم.

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

ليحتل ساوچبولاق Saouj- Bulak (مهاباد) في فارس (جنوبي بحيرة أُورميا)[1].

1 - Blue Book (Turkey, No. 5. 1881).

في أوائل سنة (1946 م) برزت ساوْچبُولاق كمركز للحركة الكُردية في أذربيجان، إنها واحدة من المدن التجارية لقبائل مُوكري القوية، التي يرجع تاريخها على الأقل إلى بداية عصرنا. والمؤرخ العربي المسعودي يسمّيهم الماجِرْدان. وكان يُشار إليهم عند الأرمن القدامى باسم أمراء ماخرتون Makhrton، ويسكنون منطقة جنوبي بحيرة أُورميا.

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

7

نشأة الحركة الوطنية الكُردية

إن فشل ثورة الشيخ عبيد الله سنة (1881 م) جرح بشدة كبرياء القادة الكُرد، وأعطى اندفاعاً جديداً، وحفزت الوعي الجماعي عند الشخصيات الكُردية الأكثر تقدماً. وحينذاك كان شباب كرد كثيرون يدرسون في المدارس التركية في إستانبول، بل إن بعضهم، مثل أمراء بدرخان بگ وبابان، ذهبوا أبعد من ذلك، فتابعوا دراساتهم في الجامعات الفرنسية والسويسرية، وصدرت صحيفة بالكُردية والعربية في مصر بعنوان (كُردستان)، وكان محررها هو الأمير **مدحت بدرخان**، كما ظهرت مجلة دورية في جنيف باللغة الفرنسية تحت الاسم نفسه.

ولأسباب عديدة نمت فكرة (كُردستان مستقلة)، لكن كان ذلك ببطء، وعلى نحو مخالف تماماً للحركات الوطنية الأخرى. وقبل كل شيء فإن معظم القبائل المتحاربة كانت في الحقيقة شبه مستقلة، قبل أن تدرك ذلك بوقت طويل، وقبل أن تصوغ برنامجها الاستقلالي، وهذه الخصوصية للحركة الكُردية تُعزى بلا شك إلى النظام القبلي.

وثمة عوامل عديدة أعاقت إلى حد كبير التطور السياسي في المجتمع الكُردي، وحالت دون تحقيق الترابط بين الكُرد، منها: فقدان

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

وسيلة عامة لتعميم الثقافة الوطنية، وانعدام الوسائل الضرورية للتعبير عن العاطفة القومية، والنظرة الإقليمية الضيقة، والفردية الشديدة، والتنافس الشديد بين القبائل؛ إن هذه العوامل كانت سبب الكوارث التي حلّت بالشعب الكُردي.

لقد كانت النزاعات التافهة جزءاً لا يتجزّأ من الحياة الاجتماعية للمجتمع الكُردي، وكان من الممكن لتلك النزاعات أن تزول بالتخاطب وجهاً لوجه خلال دقائق معدودة، لكنها كانت تؤدي إلى سفك الدماء، وإلى نشوب عداءات طويلة بين المجموعات، وإن الضغائن وعدم التسامح المتبادل كان يجعل الجراح تتقيّح وتنتقل من جيل إلى جيل، مسبّبة ضياعاً مأسوياً للطاقات وللوقت وللمصادر المالية المحدودة. إن كل قبيلة كانت تعدّ نفسها مظلومة، وما كانت لتقتنع أو لتكفّ عن حقدها حتى تنتقم من الفريق المعادي، وكانت في الغالب فرعاً من القبيلة نفسها.

ولعل في ذكر تجربة شخصية فائدة في شرح الطريقة التي كانت تمارس بها أفكار الشرف والشجاعة الشخصية في كُردستان:

إن مدينة **بدليس** تقع في منخفض شمالي طوروس الأرمنية، وهي الجسر الرئيسي بين الجبال المؤدية إلى ديار بكر وسهول ما بين النهرين، وهناك كانت تقيم عشيرتان كُرديتان هما **جَبُول** و**زَيدان**، وكانت زعامتا العشيرتين مقيمة في المدينة، لكنها كانت تستمد القوة والجنود من

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

الجبال حتى جنوبي ديار بكر. وقد قامت صداقة حميمة بين العشيرتين لسنوات عديدة، فحدث التزواج المتبادل بينهما، كما كانت العشيرتان تنظّمان غارات مشتركة على قطعان مواشي الفلاحين الكُرد والأرمن العزّل.

وفجأة نشب نزاع بين العشيرتين في ربيع سنة (1910 م)، لأن عاهرة شرقية هتفت بصوت عالٍ لفارس عشيرة جَبُول في سباق خيل عفوي، بينما عبّرت عن احتقارها لفارس عشيرة زيدان. وفي الحال دوّت طلقات البنادق في الضواحي الجنوبية من المدينة لمدة ساعتين، وقُتل وجُرح أناس كثيرون، وكالعادة احتفظ البوليس والجنود الترك بحيادهم، وفي الغالب كانوا لا يمتلكون القوة الكافية للتدخل وإيقاف الخصومة.

وفي اليوم التالي اندلعت حرب حقيقية بين العشيرتين، واستمرت ثمانية أشهر على نحو متقطّع، وانضمت إلى الحرب عشائر صديقة لكلا الجانبين في مقاطعتي مُوتْكان وغَرْزان (خَرْزان)، وانتقلت الحرب من ثَم إلى الجبال.

وكنت أعرف زعيم عشيرة جَبول منذ سنوات عديدة، إنه كان رجلاً متوسط العمر، مهذباً وبشوشاً ومنطقياً، كما كان لطيفاً في الأوقات العادية، ولكنه كان حانقاً وشرساً ومتعطّشاً للدماء عندما رأيته في مقره خلال الحرب الناشبة بين العشيرتين، إنه كان قد فقد هدوءه المعتاد وسلوكه الجذّاب، وهدّد بمحاربة عشيرة زيدان حتى آخر قطرة دم من

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

أبناء عشيرته، ما لم يسحبوا الكلمات المهينة التي قيلت على مسامع رجاله.

وأخيراً تدخّل **الشيخ محمود** بين العشرتين، وهو رجل دين من غَرْزان (خَرْزان) الواقعة في منتصف الطريق بين بدليس وديار بكر، وكان شخصاً محبوباً ومحترماً إلى حد كبير؛ إنه توسط بين الفريقين على نحو فعّال، وعقد الصلح بين المتحاربين، لكن اندلع الصراع من جديد بين العشيرتين سنة (1912 م) بعد أن غادرت المدينة.

إن الحروب القبلية وإراقة الدماء بين الكُرد كانت تنشأ أيضاً بسبب ثارات دم قديمة، وبسبب اختطاف النساء، والاستيلاء على القطعان والأسلحة، وبسبب النزاعات الناجمة عن ملكية المراعي، إلى جانب أسباب أخرى مشابهة. وفي العصر الحديث لا يملك الكُرد مؤسسة وطنية تدرّبهم على الحكم الذاتي وعلى أساليب المواطَنة؛ إن بساطة تفكيرهم وقلوبهم الطيبة ورجولتهم استُغلّت من قبل الترك، فاستخدموهم كقذائف لمدافعهم في حروبهم الخاسرة على كل الجبهات.

ومثل كل جيرانهم من الأعراق البشرية الأصلية في المنطقة (العرب، الأرمن، الآشوريون، الفرس) كان العرق الكُردي حتى سنوات قريبة العهد معزولاً عن المؤثرات الروحية والثقافية الأجنبية، وحافظ على نفسه أكثر من كل الأمم الأخرى، واحتفظ بصفاته العرقية وبتنظيماته الاقتصادية والاجتماعية سليمة طوال أربعة آلاف سنة مضت.

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

لكن في اللحظة التي قدّم فيها الكُرد الشهداء في سبيل الحرية والوطن، كما هي الحال في الحركات التي قادها بدرخان والشيخ عبيد الله لأجل الاستقلال، أشرق عهد جديد في حياة الكُرد، ولا شك في أن نشاط الثورة الأرمنية في الثمانينيات من القرن التاسع عشر وما تلاه كان دافعاً ومثالاً للقادة الكُرد المتنوّرين.

إن زعماء قبائل حَيْدران Haidaran وتاجُوري Taguri وشِكاك Shikaki القاطنة في شمال وشمال شرقي بحيرة (وان) كانوا فعّالين في تهريب الأسلحة إلى الأرمن من بلاد فارس وروسيا، وتغنّى الشعراء الكُرد ببطولات قادة الثورة الأرمنية، فالكُرد يتأثّرون بعمق بأية شجاعة فردية وبأية مأثرة حربية.

وإن السمة الرئيسة للصحف الكُردية الأولى التي أُصدرت في مصر وسويسرا كانت تأكيداً مستمراً على أن الكُرد والأرمن والآشوريين والأيزديين[1] يجب أن يعملوا معاً بشكل متناسق لتحقيق الهدف العام. والحق أن مجموعات وشخصيات عديدة من هذه الشعوب التقت وناقشت الأهداف العامة، ومن جانب آخر فإن زعماء عشائر كثيرين كانوا

1 – يكرر الكاتب عبارة (الكُرد واليزيديين) ظنّاً منه أن الأيزديين ليسوا كرداً، وهذا وهمٌ وقع فيه بعض الباحثين، وسبقت الإشارة إلى أن الأيزديين كُرد أقحاح عِرقاً وثقافة– المترجم.

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

مرتبطين مع الأتراك بشكل وثيق، إنهم قتلوا وسلبوا الناس العزّل دون تمييز.

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

8

تنظيم الفُرسان الحَميدية الكُرد

(1889 – 1891 م)

قلّما أخفق (الباب العالي)[1] في ملاحظة التعاون المتنامي بين الشعوب الرافضة لحكمه في التخوم الشرقية للدولة العثمانية. وإن وجود حركتين ثوريتين متميّزتين؛ أرمنية وكُردية، اتحدتا في ظروف معيّنة على نحو واع، بات يشكّل تهديداً بإحداث تقسيم حقيقي لتركيا؛ لذلك رأى (الباب العالي) أن من الضروري دقّ إسفين بين هذين الشعبين الجارين، ليحارب بعضهما بعضاً الآخر.

ومن هنا نشأت فكرة تنظيم أبناء القبائل الكُردية الشمالية في كتائب خيّالة، ليعملوا مساعدين للجيش التركي، ومنح السلطان **عبد الحميد الثاني** تلك الكتائب اسم (الحميدية) تشريفاً لها، ومن الناحية الشكلية أُنشئت ست وسبعون كتيبة، تضم كل فرقة أربعمئة فرد من المقاتلين

1 – الباب العالي: السلطة العثمانية– المترجم.

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

الأقوياء، يقودها زعماء العشائر، وتوضع تحت إمرة قيادة أركان الجيش العثماني السادس التي كان مقرّها في أَرْزِنْجان[1].

ولم تكن هذه الفرق في أوج قوتها أبداً، فبعضها لم يُشكّل مطلقاً، وتحت هذا القناع الجديد سيقت حوالي عشرين فرقة في أزيائها الرائعة لخوض الحرب ضد اليونان سنة (1897 م)، إنها جُلبت من جبالها إلى طَرابْزون، وشُحنت إلى سالونيكا بعد عرض عسكري في إستانبول، ثم دُفعت إلى مقدّمة الجيش التركي في تيسالي Thessaly، فحاربت بشجاعة فائقة، ولكن عاد منهم أخيراً ربعهم فقط مع جيادهم إلى بيوتهم.

إن دمج الشباب الكُردي في الهيكل السياسي التركي جرّ الأذى على المواطنين بطريقتين:

- فمن ناحية زاد عنفهم تجاه جيرانهم الأرمن، إضافة إلى عنفهم تجاه الفلاحين الكُرد أنفسهم.
- ومن ناحية أخرى أُفسدت الروح الوطنية الكُردية، فانحرفت نشاطات وطموحات ذلك العرق السليم، وصُبّت في أقنية سلبية وغير وطنية.

---

1 – تُنسَب الخطة الفعلية للتنظيم إلى الماريشال الألماني ڤون در كولتس Von der Goltz، الذي كان في خدمة تركيا منذ عام (1882 م)، ويبدو أنه هذه ليست هي الحقيقة كلها، فالدول التي كانت حريصة آنذاك على بقاء الدولة العثمانية متماسكة كانت مشاركة في هذه السياسة أيضاً.

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

وكي تكتمل الصورة تجب الملاحظة أن فرق (الحميدية) جُنّدت من بين أبناء القبائل الكُردية العريقة في گوتيوم وكاشّو على نحو خاص، أي بين مدينة الموصل وجبل حَمْرِين، وفي الهضاب السفلى التي تطل على السهول الواقعة شمالي بغداد، وتلك هي المواطن الأصلية للشعب الكُردي.

لقد عمل السلطان العثماني **عبد الحميد الثاني** ألف حساب لتقدّم الكُرد على الصعيد الفكري، فاختير عدد من الشباب من مناطق گوتيوم، وأُخذوا إلى إستانبول ليتعلموا في مدارس خاصة. إن تعليم اللغة الكُردية – لغتهم الأصلية– كان محظوراً عليهم بزعم أنها لغة بدائية، وكانت مواد التعليم تركية، وبالطبع إن تعليم الشباب الكُرد – وإن كان باللغة التركية– أفضل مئات المرات من لا شيء، ومع ذلك أظهرت هذه السياسة نزعة المكر التركي بخصوص القبائل الكُردية الصديقة.

على أن هذا الإجراء لم يحلّ المشكلة كلها، فالشباب الذين أُخضعوا للخدمة العسكرية في الجيش التركي أصبح بإمكانهم الالتحاق بفرق الخيّالة في مناطقهم، وكانت تلك – على الأقل – وسيلة مشرِّفة للخروج من المشكلة، لكن بقيت قضية الضرائب سبباً للنزاع على نحو مستمر، ويكفي أن نذكر مثالاً واحداً يعبّر عن القهر الذي يمارس على الكُرد المتعذَّر كبتهم.

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

ففي سنة (1899 م) وجّهت السلطات تهديداً للحاكم التركي المحلّي في بَرْواري (شمالي بُوتان صُو) بالطرد والعقاب من قبل السلطان، إذا لم يجمع في الحال مبلغاً يعادل (1500) جنيه إنكليزي كضريبة أغنام من كرد المقاطعة، ووُضع عشرون فارساً نظامياً تحت تصرّفه لتعزيز قوته وتنفيذ المهمة. وانطلق كولونيل الجَنْدِرما (الدرك) يرافقه خمسة من الجباة لجمع الضرائب أو الاستيلاء على المواشي.

وعندما وصل الخبر إلى الكُرد المتردّدين في دفع الضرائب تحصّنوا في مدخل ممر ضيّق، وقتلوا جميع رجال السلطة التركية، ما عدا اثنين من جباة الضرائب اللذين لم يتمكّنا من النجاة، فركعا وطلبا الرحمة باللغة الكُردية. وبعد أشهر قليلة أصدر السلطان أمراً إمبراطورياً بمسامحة هؤلاء الكُرد، وأرسل إليهم أوسمة وثناء.

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

الفصل السادس

الكُرد وتركيا الحديثة

(1908 م)

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

1

الثورة التركية والكُرد

(1908 م)

لم يكن رجل أوربا المريض (الدولة العثمانية) أشد مرضاً مما كان عليه في عهد السلطان **عبد الحميد الثاني** (1876 - 1909 م)، وقد استفاد أناس قليلون، بشكل نسبي، من الفوضى التي سادت في تلك السنوات، وكان السلطان نفسه هو المستفيد الأول، فقد كانت له أربعة آلاف امرأة، والعديد من الباشاوات والأتباع والجواسيس والمخبرين والولاة، في إمبراطورية شاسعة تمتد من بحر الأدرياتيك إلى الخليج الفارسي، إضافة إلى سندات الديون الأوربية ذات الفوائد الرَّبَوية على تركيا.

وكان الفقر يزداد بمتواليات هندسية، وفي كل سنة تقريباً كانت الحروب ضد العرب والألبان والمقدونيين والكُرد وآخرين تستنزف شريان الحياة لكل جنس أو طبقة، وأصبح المثقفون الترك في الداخل والخارج يلتحقون باللجان الثورية غير التركية، للإطاحة بالسلطان، وإنقاذ الأراضي الجيدة للإمبراطورية العثمانية من الدمار والخراب التامين.

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

وقد قيل: إن زيارة ملك بريطانيا **إدوارد السابع** للقيصر الروسي **نقولا** سنة (1907 م) نجم عنها مشروع عملي لتقسيم تركيا؛ إن هذه الإشاعات المتعلقة بمصير تركيا زادت من الشعور بالمرارة عند الترك، ووجدت تعبيراً لها في تمرد الجيش التركي المتمركز في مقدونيا صيف (1908 م)، وقد أوصل ذلك التمرد حزب (تركيا الفتاة) إلى السلطة.

واستطاع الحكام الجدد السيطرة بسهولة على الموالين للسلطان في العاصمة إستانبول وفي المراكز الكبيرة قرب العاصمة أيضاً. لكن الأمر كان مختلفاً في جبال زاغروس وطوروس وفي الصحارى العربية؛ ففي السنة الأولى اتخذت حكومة (تركيا الفتاة) إجراءات عسكرية ضد القبائل الكُردية التي كانت على ودّ خاص مع السلطان المخلوع[1].

وفي الحقيقة لم تخضع قبيلة كُردية ما أو منطقة ما بشكل تام للحكومة التركية الجديدة إلا بعد تعيين حاميات عسكرية بينهم، وبالرغم من ذلك، ونظراً لاتصاف الشعب الكُردي بالصمود والتلاؤم مع الأوضاع الصعبة، فقد نجح الكُرد في جعل حياة الحاميات العسكرية جحيماً لا يطاق، وجعلوا استمرار بقائها أمراً مُكلِفاً جداً.

---

1 –خاصةً ضد عشيرة مِللي (مِهْراني) الأيزدية، وضد إبراهيم باشا زعيم وَيْران شهر، وضدّ البارزانيين الذين أصبحوا متميّزين خلال الخمس عشرة سنة السابقة، وأخيراً ضدّ قبائل القِزِل باش [أتباع المذهب العلوي– المترجم] المتحصّنة في جبال دَرْسيم.

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

وإضافة إلى ذلك تفجّرت أزمات سياسية واحدة تلو الأخرى خلال الشهر الرابع من الثورة التركية، وأفلحت تلك الأزمات في إحداث مفاجآت دراماتيكية، وفي البداية أعلنت بلغاريا استقلالها التام عن تركيا، وبالتوافق مع النمسا وهنغاريا ضمّت سَنْجَق[1] نوڤي بازار Novi Bazar.

لقد وجّهت هذه التعقيدات ضربة قاتلة إلى هيبة الثورة التركية، وتفاقمت التعقيدات أكثر عندما أعلنت إيطاليا الحرب على تركيا في خريف سنة (1911 م)، واحتلت إقليمين من ليبيا، وبينما كانت الدولتان المتحاربتان تتفاوضان لعقد هدنة سلام في خريف سنة (1912 م) هاجمت جيوش تحالف دول البلقان تركيا، وألحقت هزيمة نكراء بجيشها، وزحفت إلى بوّابات إستانبول؛ وفي تلك الأثناء فرضت الدول الأوربية العظمى الست (مشروع إصلاحات) على تركيا بإشراف أوربي لمصلحة أرمينيا.

إن الصدى القريب والبعيد لتلك الأحداث، والانهيار المحتمل لتركيا الذي بدأ يلوح في الأفق، جعل الزعماء الكُرد ومفكريهم ينشطون أكثر، وفي الحقيقة قدّمت حكومة (تركيا الفتاة) بعض الإصلاحات الدستورية؛ مثل حرية التعبير والطباعة والثقافة، وفي خريف سنة (1908 م) تأسّس نادٍ كُردي في إستانبول بمبادرة من **الأمير أمين بدر خان**، حفيد الزعيم العظيم بدر خان الذي قاد ثورة (1842 – 1847 م)، وكان هدف

1 – سَنْجَق: مصطلح إداري عثماني يعني (ولاية، مقاطعة، محافظة)– المترجم.

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

النادي هو دراسة المبادئ الأساسية التي يجب أن تحكم تنظيم الأمة والوطن، وأُصدرت صحيفة تدعى (التعاون والترقّي الكُردي).

وفي الأعداد القليلة الأولى لتلك الصحيفة ركّز زعماء مثل **بابان زاده إسماعيل حقّي**، و**سعيد كُردي**، و**الشيخ عبد القادر** الذي سبق ذكره، على اكتساب وإعداد لغة جيدة، تكون مفتاحاً للتعلم وللحضارة، ونشرت معلومات تفصيلية تؤكد غنى الفولكلور الكُردي والأدب الكُردي الشفوي، باعتبار أن دراسات كهذه تسهم في تنامي الوحدة الوطنية، كما أنها شجّعت الكُرد، بلغة مبطّنة وحذرة، على عدم دراسة اللغة التركية، وعدّت ذلك مضيعة للوقت بالنسبة لأبناء الكُرد، ورأت أن الشرط الأساسي لمواطَنية تركية جديدة بالنسبة للكرد هو أن يتثقّفوا على أنهم كرد جيدون، وذهبت الصحيفة أكثر من ذلك، فاقترحت تأسيس قوة كُردية وطنية يكون الجنود من أبناء القبائل الكُردية نواة لها.

وتأسّست نواد كُردية مشابهة في كل من بغداد والموصل وديار بكر، لتنشر الأفكار نفسها والمبادئ عينها بين القبائل، وفتحت الحريات الدستورية مجالات عديدة، وكان هناك حماس شديد بين شباب جميع شعوب الإمبراطورية العثمانية لتعلّم العلوم والقانون واللغات الأجنبية، وشكّل الشغف العام بالثقافة رباطاً قوياً ليس بين الطلاب الذين يلتقون في المدرسة والاجتماعات العامة فقط، وإنما أيضاً بين الذي كانوا يلتقون في المناسبات الاجتماعية، ويتبادلون وجهات نظرهم حول التغيير؛ إن

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

تصالح الأجناس وتعاونها المنسق تحت الراية العثمانية كان واحداً من أهم الأهداف المعلنة للثورة التركية.

ومع ذلك يوجد دليل على أن رجال الحلقة الداخلية للجنة (تركيا الفتاة) – وكانوا على الغالب من أصول هجينة – نظروا بعين السخط إلى التطور السريع للتفاهم والتعاون المشترك بين الشعبين الجارين الكُرد والأرمن. وقد اتخذ أعضاء من هذين الشعبين مراراً وتكراراً أسلوباً متفَقاً عليه في البرلمان التركي، وفي الغالب كانت نقاشاتهم تتجاوز الخلافات على ملكية الأرض وعلى أمور أخرى كانت مثار نزاع، وفي أوائل صيف (1909 م) كان الموظفون السريون للجنة (تركيا الفتاة) يتجوّلون في الأقاليم الشرقية، ويزرعون الشك والنزاع بين الأرمن والكُرد.

وبالرغم من العواصف السياسية، والحروب في شمالي إفريقيا والبلقان، كانت الأقاليم الكُردية– الأرمنية شرقي الفرات تسترد عافيتها بسرعة من الدمار الاقتصادي الناجم عن حكم **عبد الحميد الثاني**، وفي غضون خمس سنوات (1908 – 1913 م) نمت آسيا العثمانية وخاصة في الحزام الكُردي– الأرمني– العربي، وازدهرت ثروتها إلى حد كبير. وإن حرية المشاريع والسفر وتوافر الأمن النسبي على الطرق

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

الجبلية العالية أغرت بعض الناس بتطوير مواهبهم الدفينة المتوارثة منذ خمسة وأربعين قرناً[1].

وفي الوقت نفسه كانت ثمة صورة أخرى معاكسة، فمنذ سنة (1908 م) كانت هناك حرية لكل شخص في الإمبراطورية العثمانية، فكلمات الحرية والمساواة والأخوّة كانت على شفاه كل الذين كانوا يستطيعون أن ينادوا بها عالياً، وعلى ألسنة الذين ينضمّون إلى استعراضات النصر الصاخبة، ولكن ضمن الظروف نفسها كانت(الحرية) سيفاً ذا حدين؛ لذلك كان الكُردي العادي الذي لم يتعلّم الأحكام الدستورية يصبح غريباً عن إنسانيته، ما دام لم يفهم كلمة الحرية بطريقته الخاصة وبحسب معتقداته.

إن القبائل والزعماء الكُرد الذين استفادوا في عهد السلطان المخلوع كانوا يُثارون من قبل دوائر رجعية في العاصمة، ليقوموا بالقلاقل في الأقاليم النائية، وليخلقوا المتاعب للسلطة الجديدة، فانتشر قطع الطرق والسلب في الأودية المنعزلة وفي المقاطعات البعيدة عن الطرق الرئيسة، وازداد سلب قطعان الماشية العائدة للفلاحين العزّل مع ازدياد الهزائم التركية في البلقان.

---

1 – أخبرني بشار چَتو آغا سنة (1910 م) أنه خلال سنتين تضاعفت أعداد قطعانه، وأصبح قادراً على أن يبيع حينئذ مئة حصان بدلاً من ثلاثين قبل سنتين.

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

وظهرت في الوقت نفسه صيغة سياسية جديدة شعارها (كُردستان للكُرد)، وانتقلت هذه العبارة همساً من تكية شيخ إلى تكية شيخ آخر، وكان أولئك الشيوخ يعتقدون أن الإمبراطورية العثمانية عانت من الكوارث الهائلة بين سنتي (1912 – 1913 م) بسبب التوجه الإلحادي الماسوني لرجال حزب (تركيا الفتاة).

وكالعادة أخذ كرد أرمينيا زمام المبادرة في العمل الثوري.

وكانت السلطات التركية بأمسّ الحاجة إلى المال والجنود، لإعادة بناء جيوشها المنحلة المتفككة في الغرب، فرجعت إلى حساباتها القديمة لاكتشاف مصادر جديدة للمال والجنود. وكان والي بدليس نموذجاً للتركي الإستانبولي الملمّ بالفرنسية على نحو سطحي، واكتشف هذا الوالي في ربيع (1913 م) أنه في العشرين سنة الماضية لم تدفع عائلة **الشيخ سعيد علي** شيخ خَيزان الكُردي فلساً واحداً من الضرائب المترتبة عليه، ولم تقدّم أي جندي من أبنائها الذين كان عددهم يبلغ عدة مئات.

فأرسل الوالي تحياته للشيخ، وطلب منه بطريقة مهذبة تسديد المتأخّرات المستحقة عليه للدولة، وخاصة بعض المجنّدين، فرد الشيخ كذلك بأدب عليه قائلاً: بما أنه يُعَدّ مثل أسلافه الرئيس الروحي لمنطقة شاسعة، وبما أنه راعٍ لتكيّة، فإن آلاف المسافرين والفقراء والدراويش والمتشردين والتجار يقصدونه، ويحصلون على ما يحتاجونه من المأوى والطعام مجاناً، كما أن عشرات الآلاف يقصدونه كل عام كحجاج،

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

ولذلك فهو معفى من الضرائب، والرجال الذين لديه يقومون بخدمته المباشرة، ويؤدّون الواجبات الدينية.

وكان الشيخ سعيد متهوّراً؛ إذ أضاف قائلاً: " **أن الحكومة الخيّرة في عهد السلطان عبد الحميد الثاني لم تصدر عنه طلبات كهذه**". فكان هذا كافياً لأن يغيظ والي (تركيا الفتاة)، فأرسل عدداً كبيراً من الجَنْدِرما (الدرك) ليسيطروا على قطعان الماشية التابعة للشيخ. وتقريباً كان كل كُردي وكل مسلم من منطقة ديار بكر إلى منطقة وان متعاطفاً مع أفكار الشيخ؛ إذ كان الكثيرون يبجّلونه كقديس.

ولدى سماع **الشيخ سعيد علي** بنوايا الوالي التركي من المتعاطفين معه جمع حوالي سبعمئة من أكفأ محاربيه وسلّحهم، وانطلق على رأسهم للاستيلاء على بدليس، ولطرد الـ (رومي) الملحد. أما الجَنْدِرما الذي قابلهم في طريقه فتبعثروا دون أن يطلقوا رصاصة واحدة على قوات شيخهم، لأن معظمهم كانوا كرداً، ولن يطلقوا الرصاص على شيخهم، وفي تموز/يوليو (1913 م) احتل الشيخ مدينة بدليس والمناطق المجاورة لها، وفرّ منها كل موظف تركي، بما فيهم الوالي نفسه.

ومثله كمثل **بدرخان بگ** و**الشيخ عبيد الله** وآخرين أصدر شيخ خَيزان إعلاناً مقنّعاً داعياً فيه الأرمن والآشوريين والكلدان إلى المسارعة لدعمه، ولتخليص البلد من الروم (الترك). لكن لم يكن الوقت الذي اختاره **الشيخ سعيد علي** مناسباً على الإطلاق، فكل تركيا الآسيوية

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

كانت قد ازدهرت منذ (1908 م) لمصلحة الجميع ولمنفعة البلد، ورأى الأرمن أنه من الضروري استمرار الأمن والنظام في الأقاليم الشرقية من تركيا (أرمينيا وكُردستان)، ويجب دعم حكومة (تركيا الفتاة) التقدمية للتغلب على المصاعب الناشئة في المركز.

وصحيح أن حكومة تركيا الفتاة كانت قد قتلت الآلاف من الأرمن في كيليكيا سنة (1909 م)، وحوّلت ذلك الإقليم المزدهر إلى خراب، لكن مع ذلك كان الكُرد والمسيحيون متفقين على ضرورة استمرار الإمبراطورية العثمانية كوحدة اقتصادية وسياسية.

إن حكم **الشيخ سعيد علي** في بدليس دام أسبوعاً فقط؛ إذ استقدم الأتراك الجنود من ديار بكر وموش، وأعادوا احتلال المدينة بعد قتال عنيف، فطلب الشيخ وبعض أعوانه اللجوء السياسي في القنصلية الروسية في المدينة، وبينما كان يحاول النجاة بنفسه واللجوء إلى الجبال بعد أسابيع قليلة ألقي القبض عليه، وأُعدم علناً مع أربعة من أتباعه المقربين.

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

2

القبائل الكُردية والحرب العالميّة الأُولى

(1914 – 1918 م)

من الصعب فهم أن القبائل الكُردية التي كانت تعيش في شمالي الموصل وبُوتان صُو وأرمينيا قد عانت بدرجات أقل مما عاناه الأرمن خلال الحرب الكونية الكبرى، فمعظم الكُرد البسطاء كانوا ما يزالون يحملون أفكاراً قدرية حول القضايا الإنسانية والأحداث السياسية، ولذلك كانوا يعتبرون أن الاعتراف بخسائرهم والنواح عليها يعدّ انتقاصاً من احترام النفس ومن السمو القبلي. ومثل معظم جيرانهم كان الكُرد يجهلون حقيقة مشاركة الترك في الحرب الأوربية، مع أنهم كانوا على استعداد دائم، وفي دقائق معدودة، لأية حرب أو غنيمة ناجمة عنها.

وإن بعض القبائل الكُردية، وخاصة فرق الفرسان الخفيفة القديمة التي كانت تعيش بجوار ما وراء حدود القوقاز، أُجبرت على الانضمام إلى الحرب كجزء متمّم للجيش التركي. أما القادة الكُرد الأعمق تفكيراً، والمشرّبون بروح القومية الكُردية، فكانوا ما يزالون يفتقرون إلى التماسك،

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

وما كانوا قد نظّموا صفوفهم بعدُ بشكل كاف، ليأخذوا بسياسة كُردية وطنية متميّزة.

ولم تكن للكرد، من حيث كونهم شعباً، أية مصلحة في خوض هذه الحرب المدمرة، ومن ناحية أخرى فإن غزو الجيش الروسي القوقازي للأقاليم الأرمنية في تركيا حوّلت القرى والمراعي الكُردية إلى ساحة معركة بين الدول المتحاربة، وربما أنه لم يكن أمام الكُرد خيار آخر، وحتى القبائل الكُردية في فارس– البلد المستقل الذي بقي محايداً خلال الحرب – جُرّت إلى دوّامة الحرب في الشمال والجنوب، ولعل هذا يبدو متناقضاً، ومع ذلك فإنه حقيقة.

إن قبائل **شِكاك** و**مُوكْري** Mukri و**هارْتُوشي** وقبائل أخرى منتشرة على طول الحدود الفارسية التركية في الشمال، وكذلك قبائل **اللُّور** و**سِنْجابي** و**كالْخُوري** Kalkhori، والقبائل التي كانت تسيطر على الممرات الرئيسية بين بغداد وكرمنشاه في الجنوب؛ إن جميع هؤلاء عانوا كثيراً من تقلّبات الحرب، تماماً مثلما عانت القبائل الموجودة في تركيا التي شاركت في الحرب. وكانت منطقتا أذربيجان الفارسية وكُردستان الفارسية في الشمال والجنوب تنتقل على التوالي من يد إلى أخرى بين الروس والترك والبريطانيين، وكانت بين حين وآخر تعاني من الدمار والخراب والمجاعة.

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

إن **الأمير ثريّا بدرخان**– حفيد الزعيم الشهير بدرخان بگ قائد ثورة (1842 – 1847 م)– كتب ما يلي حول العلاقة التي كانت قائمة بين الأرمن والكُرد أثناء الحرب:

" لدى اندلاع الحرب انخرط معظم الكُرد الذين كانوا قد بلغوا سنّ الجندية في الجيش التركي، وفي غياب كل وسائل الاتصال بالناس في مناطقهم ظلوا على جهل تامّ بخطط الحكومة التركية وأعمالها في كُردستان. وعِلاوة على ذلك كانت الحكومة تشنّ حملة كراهية نشيطة ضد الأرمن والمسيحيين بشكل عامّ بين الجنود الكُرد النظاميين وغير النظاميين، إن الكراهية الحقيقية والمصطنعة للأرمن تجاه الكُرد كانت قد رُسّخت منذ زمن طويل وبشكل مستمر، كما أنها ترسّخت في أذهان الكُرد من قِبَل الدعاية التركية.

لقد أخبر رجال (تركيا الفتاة) الكُرد أن الأرمن قد نسّقوا مع الحلفاء قبل حوالي أشهر فقط من دخول الجيش التركي في الحرب، وأن أرمن ما وراء القوقاز وأرمن تركيا دخلوا في اتفاق خطي مع روسيا، وبموجب ذلك ستساعدهم روسيا في غزو أرمينيا التركية وكُردستان والسيطرة عليهما، وبطبيعة الحال، ونتيجة الأحقاد القديمة، فإن الأرمن سينتقمون من الكُرد انتقاماً مريعاً.

إن هذا النوع من الدعاية كان مؤثّراً ومقنعاً، فقد كسبت المحاربين الكُرد إلى جانب تركيا المسلمة، وبهذا أصبحوا لعبة بيد الترك، فعانى

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

الكُرد وبشكل هائل جسدياً ومعنوياً، وأسهموا بشكل كبير في دمار ثرواتهم وأوطانهم وفي ورطتهم الحالية"[1].

ومن غير تفكير أو تنظيم أصبح عدد كبير من الكُرد أدوات في أيدي عصابات شريرة جاءت من سالونيكا وإستانبول، وكان غرضها قتل وسلب نصف الشعب الأرمني تقريباً؛ نقصد كل المتبقّين من الشعب الأرمني في تركيا، ما عدا أولئك الذين كانوا في إستانبول وسميرنا[2].

---

1 – Prince Sureya Badrkhan: the case of Kurdistan against Turkey, بإشراف (خويبون) المجلس الأعلى للحكومة الكُردية، مع مقدمة كتبها هربرت آدامز Herbert Adams، پرنسكتون، الولايات المتحدة الأمريكية، 1929، ص 33 – 34.

2 – تُسرع بعض الجهات الأرمنية إلى تحميل الشعب الكُردي وزر المآسي التي حلّت بالأرمن في تركيا في أوائل القرن العشرين، وهذا ما لا يقول به مُنصِف، ولا يقرّه عاقل، لأسباب ثلاثة:

أولاً: لأنه لم تكن للكُرد دولة ولا مؤسسات تشريعية ولا أحزاب سياسية تمثّلهم، وتتخذ القرارات، وإنما كان الكُرد خاضعين للدولة التركية، ثم إن الفرق الحميدية المؤلفة من الكُرد، والتي قد تكون شاركت في بعض تلك الجرائم، إنما كانت جزءاً من الجيش العثماني، وكان عناصرها متسلّطين على الأرمن والكُرد معاً، ولذا فإن الدولة التركية هي المسؤولة عما حلّ بالأرمن، وليس الشعب الكُردي.

وثانياً: أن الكُرد الذين شاركوا في تلك الجرائم هم أفراد، أو أبناء قبائل محدودة، فعلوا ذلك نتيجة الجهل الذي كان مخيماً عليهم، أو انساقوا مع حملة التكفير التي شنّتها الدولة التركية ضد الأرمن.

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

وثالثاً: أن بعض هؤلاء الكُرد الذين شاركوا في تلك الجرائم فعلوا ذلك انتقاماً من الأرمن الذين استعانوا بالجيش الروسي، وارتكبوا المجازر ضد الكُرد في المناطق المتاخمة لأرمينيا، وبعبارة أخرى: كان بعض الأرمن وسيلة في أيدي الروس، كما كان بعض الكُرد وسيلة بين أيدي الترك.

ومن العدل التذكير بأن كثيرين من الكُرد ساعدوا الأرمن وغيرهم من المسيحيين الذين فرّوا من المذابح التي أقامتها لهم السلطات التركية، وأخفوهم عن أعين السلطات التركية، معرّضين أنفسهم للهلاك، ومثال ذلك أن **الشيخ حسن فندكي**، من كبار علماء بُوتان حينذاك، كان يُخفي المسيحيين الهاربين من الجيش العثماني في مسجده ومدرسته، ويلفّ بهم حُصُر المسجد، خوفاً من حملات التفتيش، ثم يرسلهم ليلاً مع بعض الأشخاص، فيعبرون بهم نهرَ دجلة إلى منطقة طُور عَبْدين غير المشمولة بالإبادة الجماعية. وتقديراً لدور **محمد شَمْدين آغا زاخويي** في إنقاذ الأرمن والمسيحيين عامة أرسل إليه بابا الفاتيكان بيوس الحادي عشر (1922 – 1939 م) ميدالية باباوية ذهبية مع سيف وبزّة من زيّ الفرسان وشارتهم، ومنحه لقب (فارس بدرجة بيوس). انظر عبد الرقيب يوسف: حدود كُردستان الجنوبية تاريخياً وجغرافياً خلال خمسة آلاف عام، ص 374.

وذكر لي الأستاذ حَسو أُومريكو– وهو كُردي أيزدي من قرية عَرْشقِيبار في منطقة عفرين (جبل الكُرد) بسوريا، ويحمل درجة (ليسانس) في التاريخ– أن الكنيسة الأرمنية في حلب علمت بزيارة زعيم كُردي أيزدي، أرجّح أنه **حَمو شَرُو** من عشيرة دنّادي، إلى حلب، وأنه ضيف عند الأستاذ حَسو، فجاء وفد من قبلها، تشكر الزعيم الأيزدي، وتقدّم له سيفاً، تقديراً لجهوده في حماية الأرمن حينما شرّدتهم السلطات التركية. ومهما يكن فإن القيادات الأرمنية والكُردية المتنوّرة تنبّهت إلى أغراض السياسات التركية، فوضعت تلك الذكريات الأليمة جانباً، وصارت تعمل ما فيه مصلحة الشعبين– المترجم.

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

وفي فترة (1915 – 1916 م)، وقبل تقدّم الجيش القوقازي معزَّزاً بفرق أرمنية خاصة، فرّ معظم الكُرد من أقاليم وان وبدليس وأرضروم، ما عدا القبائل التي كانت تتعاون دائماً مع الأرمن؛ فرّ بعضهم بمحض إرادتهم، وفرّ آخرون مرغمين أو خائفين من السلطات التركية، وإن قبائل كُردية كاملة كانت تسكن في الولايات الآنفة الذكر تركت مواطنها، وتحرّكت أمام الترك المهزومين المتقهقرين، أحياناً في قلب الشتاء المثلج القارس، وأحياناً في حر الصيف.

وكان على الكُرد أن يرتحلوا بممتلكاتهم وقطعانهم بعيداً نحو الجنوب، متجهين إلى مدن مثل ديار بكر والموصل، أو حتى إلى مدن في الغرب مثل خَرْبُوت وقُونيه. وبما أن الكُرد كانوا معتادين على الأودية الباردة في أرمينيا فإن الفارين سقطوا بالمئات على جوانب الطرق وسط حرارة بلاد العراق الشديدة، أو في السهول الرملية الناقلة للملاريا في الأناضول.

ولا يمكن تحديد الأرقام الإجمالية للخسائر الكُردية أثناء الحرب بدقة، ويذكر **الأمير ثُريّا بدرخان** أن الترك قاموا بترحيل حوالي (700000) سبعمئة ألف كُردي خلال حرب (1914 – 1918 م)، فهلك منهم النصف، أما الكُرد الباقون على قيد الحياة، والذين عادوا إلى مناطقهم الجبلية، وإلى مساكنهم في الأقاليم الأرمنية، فلم يبقوا طويلاً؛ لأنه لم يعد هناك خياطون أرمن ولا صنّاع أحذية ولا حرفيون من أية

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

مهنـة، وإلـى ذلـك الحـين لـم يكـن الكُـرد القَبَليـون قـد تعلّمـوا تلـك المهـن والصناعات المنتجة.

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

3

المطالب الكُردية في مؤتمر السَّلام

(1919 - 1920 م)

إذا كان الكُرد خلال الحرب قد قاتلوا وماتوا لأجل الترك، بشكل عشوائي، ودون خطة وطنية متفق عليها، فإنهم على أية حال كانوا حكماء بشكل كاف لتبنّي سياسة على جبهتين:

- توجّهت إحداهما إلى مؤتمر السلام الذي عقده الحلفاء[1] في باريس.
- وبقيت الأخرى على اتصال بالترك المندحرين.

وفي القاهرة نظّم **الأمير ثُريّا بدرخان** وزملاؤه لجنة من أجل استقلال كُردستان، وعيّنوا **الجنرال شريف باشا**، الكُردي الوطني من

1 – الحلفاء هم إنكلترا وفرنسا والدول المتحالفة معهما ضد ألمانيا في الحرب العالمية الأولى– المترجم.

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

درسيم[1]، والذي كان حتى ذلك الوقت سفيراً لتركيا في السويد، ليكون ممثلاً للقضية الكُردية في باريس.

وعندما تصادمت بعض المطالب الكُردية بشأن الأرض مع مطالب مماثلة لما عند الأرمن فإن الممثّلَين الرئيسَين للأمتين (الأرمني **بُوغُوص نُوبار** Boghos Nubar، والكُردي **شريف باشا**) وقّعا على اتفاق لمتابعة المصالح العامة لهذين الشعبين، وقد صُعق الخبراء والدبلوماسيون الأوربيون، والصحفيون من الدرجة الثالثة في كل معسكر بسبب هذا التفاهم الكُردي- الأرمني؛ لأنهم ردّدوا طوال نصف قرن من الزمان تقريباً أن هذين الشعبين المتجاورين عدوّان لدودان، ولن يعملا معاً أبداً.

إن معايير معاهدة **سيڤر** الموقّعة بين دول التحالف وتركيا في آب/أغسطس (1920 م) مهّدت لقيام دولة كُردية كما يلي:

- **<u>المادة (62)</u>**: إن اللجنة المقيمة في إستانبول، والمكوّنة من ثلاثة أعضاء معيّنين من قبل الحكومات البريطانية والفرنسية والإيطالية، سترسم مخططاً تمهيدياً خلال ستة أشهر من تاريخ تنفيذ المعاهدة الخاصة بمشروع الاستقلال الذاتي المحلي للمناطق

---

1 - الصواب فيما نعلم أن أسرة شريف باشا هي في الأصل من مدينة سليمانية في جنوبي كُردستان (إقليم كُردستان- العراق)، ولعلها استقرت بعد ذلك في دَرْسيم بشمالي كُردستان- المترجم.

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

الكُردية التي تحت سيطرتهم سابقاً، والواقعة شرقي نهر الفرات، وجنوبي الحدود الجنوبية لأرمينيا، حسبما سيتحدّد بعدئذ، وفي شمالي الحدود التركية مع سوريا، وبلاد ما بين النهرين... وسوف يتضمّن المشروع حماية كاملة للآشوريين والكلدان والأقليات الدينية والعرقية الأخرى ضمن هذه المناطق.

- **المادة (63)**: إن الحكومة التركية توافق، بموجب ذلك، على قبول وتنفيذ قرارات اللجنتين المكلّفتين المذكورة في المادة (62) خلال ثلاثة أشهر من اتصالاتها بالحكومات المذكورة آنفاً.
- **المادة (64)**: في حال إذا استطاع الشعب الكُردي، كما هو معرَّف في المادة (62)، وخلال عام واحد، أن يبرهن على أن أغلبيته ترغب في الاستقلال عن تركيا، وإذا أقرّ مجلس عصبة الأمم بأن هذا الشعب قادر على استقلال كهذا... فإن تركيا توافق، بموجب ذلك، على تنفيذ هذه التوصية، وتتخلى عن كل الحقوق في هذه المناطق.

وقد وقّع المبعوثون السياسيون الترك على هذه المعاهدة، ولكن الأعضاء السريين في دول التحالف رأت أن معاهدة سيڤر تعترف باستقلال كُردستان وأرمينيا، ويجب أن تبقى وثيقة ميتة. وكما أسلفنا القول فإن القادة الكُرد كانوا حكماء في المحافظة على الاتصال مع تركيا في الوقت نفسه.

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

وبعد هدنة (1918 م) مباشرة فإن معظم المفكرين الكُرد والمنحدرين من عوائل كُردية شهيرة استأنفوا نشاطاتهم في إستانبول، ومازال كثيرون منهم ممن بقوا على قيد الحياة يعملون من أجل قضية الاستقلال، ومن بينهم **الأمير كاميران بدرخان** الممثل الحقيقي لعائلة بدرخان الكبيرة، والذي يحرّر صحيفة (**هاوار**) بالكُردية في سوريا اليوم[1]، إلى جانب مساهماته في إصدارات أخرى.

ومن هؤلاء أيضاً الأنجال الثلاثة لجميل باشا زاده في ديار بكر، وهم أكرم بگ، وعمر بگ، وقدري بگ، ومنهم أيضاً السناتور (عضو البرلمان) سعيد عبد القادر، ذلك الوطني الذي شنقه الأتراك سنة (1925 م)، وممدوح سليم بگ، ومصطفى باشا من سليمانية، وأمير علي بگ، وكثيرون آخرون من النبلاء والقادة والضباط.

وأنشأ الكُرد معاهد ثقافية وصحفاً في العاصمة إستانبول وفي أقاليم كُردستان، ولكن عندما اشتد ساعد **كمال أتاتورك** في تركيا الآسيوية، وأعاد احتلال إستانبول سنة (1923 م)، غادرها هؤلاء القادة الكُرد الوطنيون، ليواصلوا نشاطهم خارج تركيا، وكما سوف يظهر فقد حدثت معجزة خلال السنوات القليلة التالية بين سنوات (1923 – 1927 م)؛ إذ بالرغم من كل الوعود وتوقيع معاهدة سيڤر، فقد خانت جميع قوى

1 – من المفيد أن نتذكّر أن هذا الكتاب نُشر أول مرة في سنة (1948)– المترجم.

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

التحالف كلاً من كُردستان وأرمينيا، وذلك في **معاهدة لوزان** مع تركيا (1923 م).

وتبع ذلك في سنة (1925 م) انتفاضة كُردية واسعة الانتشار، فقد أعطى الشيوخ الكُرد إشارة بدء اندلاع الثورة الوطنية، وتناسى الوطنيون الكُرد خلافاتهم، وتخلّوا عن مناصبهم بشكل مثير للدهشة، إنهم انخرطوا في **(خُويبُون)** المجلس الوطني الكُردي، والذي كان المجلس الأعلى الوحيد للتنسيق في الحكومة الكُردية.

إن زعماء القبائل الكُردية العنيدون وذوو النزعة الفردية لم يترددوا في تقديم الدعم من صميم قلوبهم إلى (خويبون)، ووضع زعماء آخرون كثيرون إمكانياتهم تحت تصرف الحكومة الوطنية، وبدأ الشرق المستقر في التحرك بسرعة نحو وعي الذات وتأكيدها، وكان ذلك تهديداً خطيراً لكل من يهمه الأمر.

إن ملوك گوتيوم وگورديين، وغُوبارو Gobaru نائب الملك[1]، والسلطان صلاح الدين، وكريم خان زندي، والأمير بدرخان، وشهداء

1 – يقصد الزعيم الگوتي غُوبارو (أُوغْبارو) ملك گوتيوم الذي كان على رأس الفرسان الكُرد، حينما هاجم الملك الأخميني كورش الثاني مدينة بابل سنة (538 ق.م)، وكان هو وجنوده الگوتيين أول من دخل مدينة بابل، وعيّنه كورش نائباً عنه على بابل– المترجم.

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

الكُرد في العصر الحديث من أجل حرية الوطن؛ إن هؤلاء جميعاً سيبتهجون في قبورهم المبجّلة.

لقد أدرك القادة الكُرد أنه في عالم التمركز القومي الشديد والفوضى العالمية لم يعد النظام القبلي مقبولاً، وإذا استمر هذا النظام القديم فإنه سيؤدي إلى دمار الجميع. وينبغي أن نلاحظ أنه قبل نشوب الحرب بوقت طويل كان الانحلال القبلي قد بدأ لأسباب عديدة. ومنذ تشكيل **الفرق الحميدية** سنة (1891 م) بدأت الغيرة تزداد بين الزعماء القبليين الذين اختيروا لتجنيد هؤلاء الفرسان، وأولئك الذين لم يتم اختيارهم. إن قبيلة معيّنة، أو قبائل فرعية، كانت تتنصّل من الولاء فجأة، وتستقر في أية منطقة فيها جداول المياه والمراعي، وثمة أسباب عديدة كانت خلف هذه الانقسامات.

إن الحزن الشخصي، أو الاعتقاد بإمكانية تحقيق وجود مستقل في منطقة منفصلة من المنطقة القديمة، ربما كان هذا يشجّع زعيماً جديداً للتجنيد في فرق الفرسان، وربما كان وراء ذلك أحياناً أحد الأبناء المغامرين غير المقتنعين بسلطات آبائهم، فيبدأ بالتمرد ويكرّس زعامته، وربما كان ثمة زعيم ضعيف أو مسنّ عاجز لا يستطيع السيطرة على القادة الطموحين في قبيلته والراغبين في وضع كل السلطات في أيديهم.

وفي مناطق أخرى كانت عملية تشتيت الشمل تسير قدماً إلى الأمام؛ إن زعيماً فرعياً قوياً لعشيرة صغيرة مثلاً ربما كان يختار لحظة

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

مناسبة لمحاربة منافسيه أو جيرانه، ويجبرهم على القبول بسلطته، وهكذا سوف يكتسب سمعة كبيرة وقوة مرموقة، يرفع بها مجموعته إلى مرتبة القبائل الكبيرة.

والآن، على أية حال، من المحتمل أن تكون هذه النزاعات الشخصية والتمردات قد انتهت، فالحرب الكبيرة وخسائرها المريعة ونتائجها قد هزّت العرق الكُردي حتى النُّخاع، وكان تأثير ذلك كله على فكره ثورياً، وبالرغم من العقبات السياسية الخطير في طريقه، فلا شيء كان يمكن أن يوقف زحفه القوي باتجاه تنفيذ مطامحه الوطنية المعتدلة.

والجدير بالذكر أن القادة الكُرد واقعيون، يعرفون بالفطرة أن الحرية الوطنية الحقيقية لا تُمنح من قبل السلطة المطلقة، وإنما تُنتزع منها بقوة السلاح وبالتنظيم العالي، والدليل على أن القادة الكُرد فهموا هذه الحقيقة هو نشوب ثلاث انتفاضات مسلّحة ضد تركيا منذ (1923 م).

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

4

الانتفاضة الثورية الكُردية الأُولى

(1925 م)

قدّم أبناء الشعب الكُردي للإمبراطورية العثمانية خدمات جليلة؛ إنهم أراقوا دماءهم دفاعاً عنها، وزوّدوا رجال الدولة والضباط على الصعيد المدني بالعناصر اللازمة، وقد حدثت القطيعة بين العرقين الكُردي والتركي ببطء شديد، لكن بمجرد أن أدرك الفريقان الثغرة الواسعة بينهما تسارعت وتيرة القطيعة واكتسبت زخماً قوياً.

وحينما تقدّمت الجيوش الروسية نحو تركيا خلال (1915 – 1916 م) ألحّ رجال (تركيا الفتاة) على **السلطان رشاد الخامس** ليوقّع وثيقة تنص على تهجير الشعب الكُردي من جبهات الحرب في أرمينيا وكُردستان، وإسكانهم بين الترك في الأناضول الغربية بنسبة (10) من الكُرد إلى (100) من الترك، وأن يعلن الكُرد ولاءهم العام للدولة، وبما أن الكُرد والترك يدينان بعقيدة واحدة (الإسلام)، وبما أن الكُرد قد أُرغموا على التحدث بالتركية، فإن الجيل الكُردي الثاني سيصبح تركياً بشكل تام.

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

ولامتصاص النقمة العامة نفى الأتراك في البداية مجموعة من زعماء الكُرد، واكتشفوا بدهشة عظيمة أن الكُرد يكرهون تذويبهم قومياً، وتحويلهم إلى أتراك كما تمّ تذويب الأرمن[1]. إن سجلات مديرية الهجرة التركية في إستانبول توضّح أنه في سنة (1915 م) جرى تهجير حوالي (700000) سبعمئة ألف كُردي من كُردستان إلى الأناضول الغربية[2].

وفي سنة (1919 م) ركعت تركيا أمام الحلفاء مغلوبة مهزومة، وبدأ الترك يغازلون الكُرد في مجالسهم وفي صحافتهم، وأعلنوا أن تركيا هي أرض آباء الترك والكُرد على حد سواء، وأن لهذين الشعبين وحدهما الحق في التحدث باسم البلاد، وقال الترك للقادة الكُرد: " **تركيا في خطر كبير أن تتجزّأ من قبل الحلفاء المنتصرين، وإن الأرمن واليونان يدعمون مطالبهم في شرقي وغربي الأراضي الكُردية – التركية** ".

ووعد الترك القادة الكُرد بتسوية عادلة للمطامح الكُردية الوطنية عندما تنتهي الأزمة، وكانوا يعلمون أن **الجنرال شريف باشا** موفد

---

1 – الحقيقة أن الترك لم يكتفوا خلال (1915 – 1918 م) بأن يقتلوا ويسلبوا الأمّة الأرمنية، بل أرغموا ربع مليون من الشباب الأرمن من كلا الجنسين على أن ينكروا عقيدتهم ويصبحوا أتراكاً، إنهم جمعوا مئات الآلاف من الأطفال الأرمن اليتامى وجعلوهم تركاً، والآن يجب أن يحاسب الترك على هذا السلوك الهمجي.

2 - Cf. Prince Sureya Badrkhan: the case of Kurdistan against Turkey, op. cit. p. 32.

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

كُردستان في مؤتمر السلام قد عرض قضيته، وأن هناك شروطاً في معاهدة سيڤر لاستقلال محدود في كُردستان.

ولكن بمجرد أن نجح الترك في فرض معاهدة سلام أخرى في لُوزان على دول التحالف، وعلى القوى المشاركة سنة (1923 م)، غيّروا موقفهم تجاه الكُرد حالاً، وتخلّوا عن كل هدنة أو وعدٍ قطعوه خلال مرحلة ضعفهم بين سنتي (1918 – 1922 م)، إن حاملي الوثائق الأجانب، ومستغلّي الفرص، والباحثين عن النفط، كانوا مشغولين في كل معسكر، وإن رسم الحدود الشمالية للعراق مع تركيا (نفط الموصل) تمّ قبل عصبة الأمم في جنيف.

وإزاء هذه الظروف لم يستطع القادة الكُرد الوطنيون الوقوف بيأس، ومشاهدة المنازعات وراء الكواليس على ملكية الميراث الكُردي والآشوري الذي كان ملكاً لهم طوال أربعين قرناً، وكانت مساحات شاسعة على جانبي الحدود السورية – التركية، والحدود العراقية– التركية، والحدود الفارسية– التركية، هي موطن الكُرد المحبين للقتال والنشيطين الأقوياء، وكان هؤلاء يشكلون خطراً حقيقياً في تركيا، وقد بُذلت جهود حثيثة لصهرهم.

وبما أن الكُرد قد تحرروا من الأوهام، وباتوا غاضبين، فقد نظّم القادة الكُرد حرباً ثورية ضد تركيا من أجل الاستقلال، ولولا حظهم العاثر لأحدثت تلك الحرب مشكلة كبيرة في تركيا التي كانت قد تحوّلت إلى

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

جمهورية منذ عهد قريب. وبقيادة **الشيخ سعيد** من پيران Piran، ونخبة من الضباط المحنكين، وتوافر مستودعات الذخيرة، تقرّر أن تبدأ انتفاضة كُردية عارمة في الحادي والعشرين من آذار سنة (1925 م)، بهدف طرد الأتراك خارج كُردستان.

ولكن أحبط الأتراك تلك الانتفاضة بفضل الجاسوسية النشطة، واستُدعي **الشيخ سعيد** إلى القيادة التركية، وحينما ارتاب الشيخ سعيد في نوايا الترك، وأنهم يمارسون لعبة قذرة ضده، طلب من أتباعه الذين كانوا يضمون بضع مئات من الأقوياء أن ينتفضوا في السابع من آذار (1925 م) بدلاً من الحادي والعشرين من آذار كما كان مخططاً.

إن القوات الكُردية لم تكن لديها لا البرقيات ولا الاتصالات اللاسلكية ليخبروا المقاتلين بالتغيير الذي طرأ على الخطة. وقد حرّك الأتراك ثلاثة فيالق من الجيش ضد الكُرد، وقد حارب الكُرد ببسالة، خاصة أنهم عرفوا أن هذا القتال هو من أجل قضيتهم الوطنية، لقد ألحقوا بالأتراك هزائم كثيرة، وتقدموا في مدن أُورفا وسُوَيرَك وديار بكر عاصمة كُردستان، واحتلوا الجزء الجنوبي من هذه المدينة الأخيرة.

وبسبب الضغط على قواتهم في الأقاليم الجنوبية عمد الأتراك إلى جلب فيلق جديد على سكة الحديد السورية التي كانت تحت الانتداب الفرنسي، وأرسلوه إلى مؤخرة القوات الكُردية التي حوصرت بين نارين، وهكذا كان على الكُرد أن يتخلّوا عن مواقعهم، وينسحبوا إلى مواقع

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

ستراتيجية. وامتد القتال إلى شمالي نهر دجلة وإلى شمالي جبل آرارات الذي تشكل منحدراته قلعة حصينة، وتخندقت عناصر جيدة من القوات الكُردية في الخطوط الأمامية في آرارات، تحمي جناحيها- كما هي العادة- بالجمهوريتين الأرمنية والأذربيجانية.

وخلال سنة (1926 م) وجّهت تركيا ضربة قاسية إلى جبهة آرارات التي جعلها الكُرد مقراً لأركان قواتهم الوطنية، وجرى قصف متبادل ومواجهات عنيفة بين الطرفين خلال فترة (1927 – 1928 م)، وأسر الكُرد كثيراً من الضباط والجنود الترك، وسيطروا على البنادق وكل أنواع الإمدادات الحربية[1].

وبدءاً من سنة (1924 م)، وخلال النقاش الساخن حول مسألة الموصل، أنشأ الأتراك (محاكم الاستقلال) في ديار بكر وقُونيه وفي أمكنة أخرى، لإجراء محاكمات عاجلة لكل من لم يذعن للتغييرات التي فرضها كمال أتاتورك، إن أعداداً كبيرة من الكُرد الذين أُسروا خلال الثورة، ومن المدنيين الذين كان ثمة شك في أن لهم إصبعاً في التحضير لها، أُحيلوا إلى هذه المحكمة في ديار بكر، وحُكم على حوالي (53) من المثقفين والعسكريين الكُرد بالموت، وأُعدموا في تلك المدينة علناً.

1 – في أوائل سنة (1928 م) استخدم الأتراك القوى الجوية ضد القوات الكُردية في جبهة آرارات، وفقدوا طائرتين.

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

وفي أكتوبر/ تشرين أول (1927 م) اجتمع القادة الكُرد ذوو العقائد والانتماءات السياسية المختلفة في مؤتمر خارج كُردستان لتطوير ميثاق وطني، ولاتخاذ خطوات ضرورية ومراجعة أهدافهم القومية، وأسفر هذا المؤتمر دون مشاحنات عن تأسيس صحيفة (خُويْبُون) الناطقة باسم المجلس القومي (الحكومة الكُردية)، وخوّل تلك الحكومة بالتعامل داخلياً مع الكُرد، وخارجياً على الصعيد الدولي.

" **وبناء على ذلك أعلن حزب خُويبُون استقلال كُردستان في الثامن من أكتوبر/ تشرين أول (1927 م)، كما هو مرسوم في اتفاقية سيڤر والمسماة بـ (كرد آڤا) Kurd Ava، وحدث هذا في إقليم آگري داغ (آرارات) باعتباره العاصمة المؤقتة لكُردستان، وعبّر القرار عن مشاعر الكُرد الودية تجاه فارس وأرمينيا والعراق وسوريا، وتصميمه على أن يشنّ حرباً ضروساً ضد الترك، إلى أن يتحرر التراب الكُردي من قبضتهم، وأكّد القرار أن الحرب بين الكُرد والترك مستمرة، وستستمر، حتى تتحقق أهداف الكُرد**"[1].

إن الأمير جَلادَتْ بدرخان، والأمير كامِيران بدرخان، وممدوح سليم بگ، وشاهين بگ، ومفكرين آخرين، عُيّنوا أعضاء في اللجنة التنفيذية،

1 – Prince Sureya Badrkhan: the case of Kurdistan against Turkey, op. cit. p. 54.

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

وعيّنت هذه اللجنة **إحسان نوري باشا**[1] قائداً للجيش الوطني الكُردي، وكان رومانسياً وبطلاً من الطراز الأول، وكان ضابط أركان سابقاً في الجيش التركي أثناء الحرب العالمية الأولى، وكان يعرف الأتراك الجمهوريين على حقيقتهم، ويعرف مصادر قوتهم ونقاط ضعفهم، وأنهم منهكون تماماً.

1 – بعد سقوط ثورة آغري (آرارات) لجأ القائد العسكري للثورة إحسان نوري باشا إلى إيران، وقُتل– رحمه الله– في طهران نتيجة حادث سير مشبوه، ولا أذكر السنة التي قُتل فيها– المترجم.

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

5

الحرب الثورية الكُردية الثانية

(1930 - 1932 م)

إن حزب خُويْبُون وقائد الجيش الكُردي إحسان نوري باشا كانوا مصممين على أن يضحّوا بحياتهم في النضال للخلاص من الترك، لذلك لجأوا إلى كل وسيلة في أيديهم لإعداد قواتهم من أجل النضال للاستقلال عن تركيا، وبما أنهم تعلّموا من فشل محاولتهم الأولى سنة (1929 م) فقد تقدّم حزب خُويْبُون بحذر وحرص، وبذل كل الجهود الممكنة للتنسيق مع القبائل اللامبالية، ومع الكُرد القاطنين في المقاطعات المهجورة، فنال تعاطفهم، وفي بعض الأحيان استطاع تحقيق التعاون الفعّال مع الشعوب المجاورة المتطلّعة إلى أهداف مشابهة.

ولم تتوقف المصادمات المتفرقة طوال سنة (1929 م)، ولكن في ربيع (1930 م) انطلقت شرارة الحرب من جبل آرارات، حيث كانت قيادة الأركان الكُردية، وانتشرت إلى أودية كثيرة من ولاية وان، وانخرطت فيها كل من ولايات بَدْليس وديار بكر وبُوتان. فزمجرت الصحف التركية مثل بنادقها وطائراتها طوال أشهر ضد " **المتمردين الكُرد**" و"**همجيتهم**"

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

حسب زعمها، بينما كانت القوى الأوربية العظمى التي نصّت على استقلال كُردستان تبحث عن كلمات تعبّر بها عن إعجابها بالجمهورية التركية.

وبدءاً من سنة (1915 م) وما بعدها لجأ الأتراك الإصلاحيون إلى الإجراءات الوحشية التي قمعوا بها الأرمن واليونان، إنهم ارتكبوا مجازر للنساء والأطفال الكُرد الأبرياء، وهجّروا الباقين إلى الأناضول الغربية، وأجبروا قبائل كاملة على ترك بيوتها وأوديتها الخضراء والصحية، وسيقت إلى السواحل المليئة بالملاريا في الشرق الأوسط، واستعبدوا الفتيات والنساء والأطفال الذين كانوا في زهرة العمر بالآلاف، وكان الجوع والمرض والتعب مهيمناً على القوافل الطويلة لهذه الكائنات البشرية العاجزة، وإن أكوام الجثث والموتى كانت تملأ الخنادق على الطرق، ولم يصل حتى نصف هؤلاء التعساء إلى وجهتهم أحياء، فهذه هي الحضارة بالأسلوب التركي.

إن تفاصيل هذه الفظائع الوحشية التي ارتُكبت بحق الكُرد، وخاصة النساء والفتيات، ونشرتها **صحيفة خُويبُون**، مقزِّزة للنفس، ولا تقبل النفس أن نذكرها هنا. وإن حملة تجريد السكان ودمار الأقاليم شرقي نهر الفرات، والتي بدأت سنة (1915 م) بقتل الأرمن وسلب ممتلكاتهم، استُكملت تقريباً خلال سنوات (1925 – 1932 م) بقتل الكُرد وسلبهم.

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

وخلال الثلاثينيات كان مراسلون أتراك عديدون يكتبون من الأقاليم الشرقية إلى صحفهم في إستانبول عن الدمار الواسع الانتشار والخراب الذي عمّ، ومع ذلك فإن بريطانيا العظمى الحليف القديم لتركيا كانت ترغب في أن تحافظ " **على الاستقلال السياسي لتركيا، وعلى سيادة الأراضي التركية** ".

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

6

" دَرْسيم لم تَعُدْ موجودة ": الحرب الكُردية الثالثة

(1937 – 1938 م)

إن لا مبالاة الأوربيين الذين كانوا يتنافسون على المنافع السياسية شجّعت تركيا أتاتورك على أن تعتقد أن الفرصة مناسبة لترسيخ الحكم الجديد، وكان ثمة ما ينبغي القيام به على امتدادات جبال درسيم، تلك المقاطعة الواقعة في المنعطف الكبير لنهر الفرات في أرمينيا الغربية[1]، والمحاطة تقريباً من كل الجهات بقمم الجبال المغطاة بالثلوج، ومنها: جبل مِرْجان داغ Merjan Dagh (حوالي 11000 قدم)، وجبل منتسور داغ Mntsur Dagh، وغيرهما.

إن درسيم كانت واحة من الحقول الخضراء، والوديان الظليلة، والغابات القديمة، والبساتين المزدهرة، وحتى سنة (1908 م) نادراً ما كانت معروفة للترك، إنها كانت تعيش حياة معزولة ومعتمدة على

1 – ذكرنا سابقاً أن الكاتب ومعظم القوميين الأرمن ينطلقون من رؤية إمبراطورية، فيعدّون كثيراً من المناطق الكُردية المتاخمة لأرمينيا جزءاً من أرمينيا الكبرى – المترجم.

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

الزراعة وتربية القطعان وزراعة الكرمة، وسكانها الذين يبلغ عددهم (70000) سبعين ألفاً كانوا من القِزِل باش[1] والأرمن والكُرد[2]، وكانت جاثمة على أعالي طوروس الأرمنية[3]، وكانت مناظرها الخلابة مميّزة بالصدوع الزلزالية التي تعود إلى عصور ما قبل التاريخ، وربما لا يوجد في مكان آخر مثل هذه الأودية الطويلة والضيقة التي تنعطف بين الجروف المعلقة والصخور العمودية.

ولم تقف أبداً معركة شد الحبل بين السلطات التركية وقبائل درسيم بخصوص الضرائب أو التجنيد العسكري، وفي هذه المرة لم تكن القبائل

---

1 – (القِزِل باش) لقب مذهبي أطلقه الترك منذ عهد الصراع العثماني– الصفوي على أتباع المذهب العَلَوي سواء أكانوا كرداً أم تركماناً، ويعني مصطلح (قِزِل باش) أصحاب الرؤوس الحمر؛ لأنهم كانوا يتعمّمون بعمامات حمر، وبعض القزل باش كرد عريقون في كُرديتهم، وهم من عشيرة دُنْبُلي، ويُعرفون باسم (زازا) أيضاً، والأرجح أنهم من سلالة الكُرد الذين وقفوا إلى جانب **بابك الخُرّمي** في ثورته على الدولة العباسية بين سنتي (201 – 222 هـ = 816 – 837 م)، ولما فشلت الثورة، وقُتل قادتها، لجأوا إلى تخوم كُردستان البعيدة عن السلطة العباسية، والتي يبدو أنها كانت تحت سلطة الدولة البيزنطية– المترجم.

2 – Cf. Captain Molyneux- Seal: " Dersim" in the Journal of the Royal Geographical Society, July, 1914, and Ewald Banse: Turkei, 1915, p. 215 – 216.

3 – طبعاً يعدّ الكاتب جبال طوروس أرمنية لأنها كانت ذات يوم ضمن الإمبراطورية الأرمنية، وهذا لا يعني أنه لم يكن للأرمن وجود في جبال طوروس، لكنه كان وجوداً مشتركاً مع الكُرد في أحيان كثيرة– المترجم.

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

الكُردية هي المبادرة، وإنما كانت تركيا هي الراغبة في أن تظهر كفاءة جيشها وإنجازات الجمهورية. وفي صيف (1937 م) احتل الترك ممرات درسيم، وطلبوا من عدد من الزعماء الكُرد أن يستسلموا، ويسيروا إلى أنقرة.

ومن هنا أصبح الصدام المسلح أمراً حتمياً، وكانت النتيجة أن زعماء درسيم انسحبوا مع شعبهم إلى الكهوف والجبال التي يتعذّر الوصول إليها، كما كانت عادتهم لقرون كثيرة، ولم يستطع الترك أن يمارسوا تأثيراً كبيراً عليهم، فسدوا منافذ الممرات الجبلية ومخارجها حتى ربيع (1938 م)، وشرعوا يقصفون القرى الجبلية والمخيمات.

وبعد أن تعذّر على شعب درسيم مقاومة القنابل التي لا ترحم استسلم **الشيخ سيد رضا** الذي كان يناهز عمره (82) عاماً مع نجله وأتباعه، فأقامت السلطات التركية لهم محاكمات هزلية، وأعدمت منهم اثني عشر زعيماً[1].

وطوال أسابيع عديدة أشادت الصحافة التركية بفتح درسيم، وغنّت أنشودة النصر: " **لم تعد درسيم موجودة** ". أما القوى الأوربية فقد ساعدت الترك، ذلك الشعب البدوي القادم من آسيا الوسطى، إنها ساعدتهم بالوسائل المادية وبالأسلحة؛ ليدمروا شعوباً أصيلة مثل الكُرد

---

1 – كان الشيخ سيّد رضا من الذين أُعدموا– المترجم.

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

والآشوريين والأرمن، هذه الشعوب التي ظلت تعيش في أوطانها منذ (4000) أربعة آلاف سنة على الأقل.

ومن ناحية أخرى خدع الأوربيون هذه الشعوب وخانوها، فانتهى بها الأمر إلى هذه النهاية المفجعة. إن قليلاً من الشرف والإحساس بالإنسانية، وكلمات معسولة قليلة، وقليلاً من المبررات الأخلاقية، كان سيحول دون وقوع مآس كثيرة.

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

7

التوزيع السياسي للكُرد

كُردستان، في المصطلح السياسي المعاصر، تعبير جغرافي لنموذج مبهم، ولم تظهر حكومة كُردية لتحكم الكُرد في موطنهم التاريخي في گوتيوم وكاشّو وبُوتان[1]، هذا مع العلم أن العشائر المقيمة في هذه الأقاليم المذكورة كانت تحكم نفسها بشكل مطلق في مجالات كثيرة.

ونتيجة لمعاهدات السلام المعقودة بين سنتي (1920 – 1923 م) قُسّمت بلاد الكُرد بين تركيا والعراق وإيران وسوريا، إضافة إلى أن حوالي (80000) ثمانين ألف كُردي كانوا قد استقروا منذ وقت طويل في الجمهوريات السوفياتية في أرمينيا وأذربيجان، أما قبل نشوب الحرب العالمية الأولى (1814 – 1918 م) فكانت كُردستان مقسّمة بين تركيا العثمانية وإيران الصفوية.

1 – يقصد الكاتب أنه لم تظهر حكومة كُردية في العصر الحديث تحكم كُردستان، وإلا فإن الگوتيين والكاشّو والميتّانيين كانوا أصحاب دول وحكومات معروفة في التاريخ أشار إليها الكاتب نفسه في الفصول الأولى من هذا الكتاب، هذا عدا أن الدولة الميدية شملت كل أجزاء كُردستان حوالي قرن– المترجم.

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

وبالرغم من جرائم الدولة العثمانية وسلبياتها الكارثية القاتلة فإنها كانت وحدة اقتصادية متكاملة، تجري في إطارها العمليات التجارية المتبادلة خلال قرون عديدة، وكانت العشائر الكُردية في سهول ما بين النهرين قد اعتادت أن تغادر ملاذاتها الشتوية في أوائل الربيع، وتعود بقطعانها إلى الوديان والمرتفعات في الشمال، حتى الأقاليم الجنوبية لبحيرة وان.

ولكن بعد سنة (1924 م)، حين رُسمت الحدود السياسية بين تركيا والعراق، لم تسمح السلطات التركية للسكان الكُرد الرحّل أن يمارسوا حقوقهم الرعوية في المناطق الشمالية، وكذلك رفضت السلطات العراقية السماح للكرد من تركيا بالتحرك جنوباً.

إن هذا التمزق وآثاره الضارة على الحياة الاقتصادية، والمصادر الضئيلة للعشائر الكُردية الرحّالة، لم تكن الأسباب الوحيدة التي دفعت الكُرد إلى الاستماتة والاضطرابات الدائمة والثورة، وبالإضافة إلى هذه العوامل فإن الأتراك احتفظوا بأعداد كبيرة من الجنود على الحدود العراقية والسورية خلال الانتفاضات الكُردية، وبذلك منعت العشائر الكُردية وقطعانها من التنقّل الحر بين المراعي.

وبالرغم من أن الحكومات ذات العلاقة بالأمر كانت حذرة للغاية في نشر أية معلومات بشأن الحقوق القديمة للعشائر الكُردية في

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

مراعيها، فقد اتخذت بعض التدابير للسماح لبعض الكُرد بالتحرك، ولكن تحت إجراءات معيّنة للسيطرة عليهم.

غير أن قضية كُردستان السياسية، ومستقبل الشعب الكُردي، بقيتا مشكلة ملحّة من قبل الحكومات ذات العلاقة، وإن قوى التحالف التي دمرت الوحدة الاقتصادية لتركيا، وخذلت الشعب الكُردي، تتحمل قسطها من المسؤولية في هذا الموضوع.

ويمكن التحقق من مصادر مسؤولة إلى حد ما من أنه لم يكن للقادة الكُرد مطالب في الأرض ضد إيران، وبالرغم من الاتصال مع الحركات السياسية الحديثة في أذربيجان الإيرانية، فالتحالف الكبير لقبائل **مُوكري** و**بِلْباس** و**شِكاك** وغيرها من القبائل التي كانت تعيش في الجنوب والغرب من بحيرة أورميا، والتي كان لها تاريخ عظيم في الماضي، أعلنت استقلالها، واتخذت مدينة مَهاباد في إقليم ساوچبولاق عاصمة لها[1].

1 - ليس واضحاً ما إذا كانت هذه الدولة مستقلة، أو كانت إقليماً مستقلاً ضمن إطار الدولة الإيرانية، أو ضمن أذربيجان الإيرانية. وإن التحالفات الكبيرة لقبائل اللور (في لورستان) وقبائل أردلان بمدينتها المركزية (سِنَنْداج)، والممتدة تقريباً من بوّابات مدينة همذان، ومجموعات أصغر مثل قبائل سنجابي وكالخوري، وآخرين يسيطرون على الطريق الممتد من بغداد إلى كرمنشاه، تبدو كأنها كانت جميعاً متحالفة ومتعاونة جداً مع حكومة طهران.

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

إن التحالفات الكُردية في العراق أنشأت نواة لمملكة الگوتيين القديمة، وتتضمّن اليوم معظم العائلات الأرستقراطية القديمة من الشعب الكُردي؛ مثل بابا زاده في سُليمانية، وأَڤرومان the Avromans[1]، وسُوران، وهَماوَنْد، وجافّ، والقبائل الأخرى الكثيرة التي تنتمي بشكل عام إلى قبائل: گوران، وراوندي في جبل راوَنْدُوز وممر كَلَه شِين، والبارزانيين القريبين من الحدود التركية.

وفي المنحدرات السفلى من جبل جودي، وحتى جزيرة ابن عُمر والحدود التركية، تعيش العشائر الست المعروفة في تاريخ بَهْلَوي للملك الساساني **أَرْدَشَير بابكان** بـ (هافتان بُخت)، وبالنسبة للقسم الجنوبي من أرض بابخي (بُوتان= بوهتان) فهو مذكور بالتأكيد في حوليات ملوك آشور.

وقد بقي المجتمع الأيزدي الكبير في سنجار (الجبل المنعزل في الشمال الغربي من العراق) بعيداً عن النشاطات السياسية، وإن جميع الرحّالة الأوربيين الذين اتصلوا بالأيزديين في كُردستان وأرمينيا، ما عدا فئة قليلة منهم، تحدّثوا بازدراء وانتقاص عن هذا الشعب الشجاع، والسبب في ذلك أن الرحّالة من ذوي الثقافة المتوسّطة لم يمتلكوا المعرفة

1 – كذا جاء في الأصل، والأرجح أن المقصود قبيلة هاوْرامان (أَوْرامان) في جنوبي كُردستان (في العراق)– المترجم.

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

التاريخيــة الكافيــة لفهــم قداســة العقائــد الدينيــة القديمــة جــداً ودلالات طقوسهم.

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

8

الكُرد في سوريا ولبنان

من المستحيل أن نعرف من المصادر التاريخية العدد الحقيقي للضباط والقادة الكُرد الذين كانوا من أتباع السلطان صلاح الدين، واستقروا في دمشق وحلب وفي المدن السورية الأخرى بعد وفاة السلطان، وهناك أدلة من اللوحات المسمارية تؤكد أن العبيد " **ذوي البشرة الشقراء** " من گوتيوم كانوا يعملون في المدن السومرية والبابلية[1]، وإلى يومنا ما زال الكُرد وأناس جلودون آخرون من أبناء الجبال يعملون في المدن العراقية والسورية مهنيين وبستانيين وخبّازين وعتّالين.

ومنذ أن قامت تركيا باضطهاد القبائل الكُردية حدث تدفّق كُردي كبير من تركيا على سوريا، واستقروا هناك، وعملوا مزارعين ومربي

1 – إن الدول التي كانت تغزو گوتيوم هي التي كانت تأسر الگوتيين، وتبيعهم كعبيد في البلدان المجاورة– المترجم.

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

ماشية، على طول الجانب السوري من خط سكة الحديد الذاهب إلى بغداد، ولا سيما في الزاوية الشمالية الشرقية المتاخم للعراق وتركيا[1].

---

1 – واضح أن معلومات الكاتب حول الكُرد في تركيا غزيرة ودقيقة، لكنها محدودة جداً وغير دقيقة بما فيه الكفاية بخصوص الكُرد في سوريا، فالكُرد في سوريا لا يقل عددهم عن 15% من عدد السكان السوريين، وهم فئتان:

أ – **الفئة الأولى** تعيش في المدن السورية الداخلية (حلب، حماه، حمص، دمشق، قسم من ريف محافظة إدلب، قسم من جبال الساحل، وغيرها)، ويعود وجودها في تلك المدن والمناطق– على الغالب– إلى العهدين الزنكي والأيوبي (القرن 6 هـ = 12 م، وما بعده)، بسبب مساهمة الكُرد حينذاك بقوة في الدفاع عن غربي آسيا ضد الحملات الفرنجية (الصليبية)، ثم زادت أعداد تلك الفئة في النصف الثاني القرن العشرين، ولا سيّما في حلب ودمشق، بسبب ظروف الهجرة من الريف إلى المدن بحثاً عن العمل وعن حياة أفضل.

ب – **الفئة الثانية**– وهي الأكثر عدداً– تقيم في شمالي سوريا المتاخم لتركيا، وخاصة في منطقة الجزيرة (عين العرب، الحسكة، القامشلي)، وفي منطقة عفرين المتاخمة للواء إسكندرون، إضافة إلى وجود قرى كُردية في منطقتي الباب وإعزاز التابعتين لمحافظة حلب، والمتاخمتين أيضاً لتركيا من الشمال.

والحقيقة أن الكُرد من أبناء الفئة الثانية ليسوا مهاجرين، وإنما هم مقيمون على أرضهم التي هي جزء من كُردستان المقسَّمة حسب اتفاقية سايكس– بيكو في بداية القرن العشرين، ويمتد وجودهم على أرضهم هناك إلى عهد الميتّانيين (الحوريين) والميديين، أيْ إلى أكثر من ألف سنة قبل الميلاد، وبناء على ذلك فالكُرد الذين هاجروا من المناطق الكُردية التي صارت تركية إلى المناطق الكُردية التي صارت سورية، بفعل اتفاقية سايكس– بيكو، إنما كانوا يتنقلون ضمن أرضهم الكُردية كما

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

يفعل أبناء كل الشعوب عند الحاجة، ومعروف أن اتفاقية سايكس– بيكو لم تراع الحقائق الإثنية على الأرض، وإنما راعت المصالح الجيوسياسية الاستعمارية لكل من إنكلترا وفرنسا حينذاك.

ثم دعونا نتساءل: من هو الشعب الذي كان مقيماً في شمال شرقي سوريا وفي شمال غربي سوريا، وغزاه المهاجرون الكُرد، وطردوه من هناك وحلّوا محلّه؟ وأين هي المصادر التاريخية التي أرّخت ذلك الغزو الكُردي؟

بل لو دققنا النظر، والتزمنا الموضوعية، لاتضح أن الكُرد في الجزيرة هم امتداد طبيعي (جغرافي، وإثني، واجتماعي، وثقافي) للأرض الكُردية وللكرد في جنوب شرقي تركيا، أما منطقة عِفْرين (الزاوية الشمالية الغربية من سوريا) فهي أيضاً امتداد طبيعي (جغرافي، وإثني، واجتماعي، وثقافي) للأرض الكُردية وللكُرد على الجانب التركي، هذا إضافة إلى وجود عدّة معالم جغرافية تحمل أسماء كُردية عريقة جداً وموثَّقة، يعود تاريخها إلى ما قبل الميلاد وإلى ما قبل الإسلام، نذكر منها مَعْلَمين:

– **<u>المَعْلم الجغرافي الأول:</u>** هو نهر عفرين، وهو بالكُردية (آف رين Av rain)، ويعني بالكُردية (الماء الجاري)، وكان النهر يحمل هذا الاسم منذ العهد الآشوري (في عهد الملك حَدَد نيراري، وفي رواية: الملك أشور ناصر بال، في القرن التاسع قبل الميلاد)؛ إذ أوردته الكتابات الآشورية باسم (نهر آبْرى)، ويعلم كل عارف باللغتين العربية والكُردية أن (آبري) ليست كلمة عربية، ولا معنى لها بالعربية، وإنما هي كُردية مؤلفة من مقطعين، مثل كثير من الأسماء الكُردية، هما (آب Ab= ماء) و(رَي Rai= طريق = مجرى = مسيل)، وقد عرّبه العرب في عهد الفتوحات إلى (عِفْرين) كما فعلوا بكثير من الأسماء خلال التوسع العربي الإسلامي. انظر الدكتور عبد الرحمن حَمِيدة: محافظة حلب، ص 14. ومجلة الحَوليات الأثرية السورية، المجلد العاشر، ص 101.

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

– **<u>والمَعْلَم الجغرافي الثاني:</u>** هو (سهل جُومَه) الذي يشكّل القسم الجنوبي من منطقة عفرين، فقد ورد في المصادر العربية الإسلامية باسم (جُومَة) على طريقة العرب في إضافة التاء المربوطة إلى أواخر الأسماء غير العربية، مثل إفريقية، أوربة، فرنسة، إلخ. و(جومة) هي في الأصل (جومَهْ Gume)، وهذه الكلمة ليست عربية، ولا معنى لها في العربية، وإنما هي كُردية تعني (المنخفَض)، وهي منطقة انهدامية منخفِضة فعلاً، تقع بين سلسلة جبل لَيْلُون Laylun من الشرق، وسلسلة جبل هَشْتِيا Heshtiya من الغرب. انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان. وابن الشِّحْنة: الدُّر المُنتخَب في تاريخ مملكة حلب، ص 206.

وإضافة إلى المَعْلَين الجغرافيين ثمة دليلان آخران على أن المنطقة كُردية:

– **<u>الدليل الأول:</u>** هو أن منطقة عفرين المتاخمة مباشرة للحدود التركية، وتتألف من حوالي (360) ثلاثمئة وستين قرية، لم يكن منها مع بداية القرن العشرين قرية عربية ولا سُريانية ولا قرية تركية واحدة، وإنما كان سكانها جميعهم من الكُرد، وتاريخ إقامة الكُرد في تلك القرى قديم، ولم يظهر العرب– وهم قليلون جداً– في منطقة عفرين إلا بعد تكوين الدولة السورية الحديثة، وهيمنة التيار العروبي على سوريا.

والسؤال الذي ينبغي أن نقف عنده وقفة جادة هو: لو كانت منطقة عفرين عربية أو سريانية أو تركية منذ القديم فأين سكانها الأصليون هؤلاء؟ هل خسفت بهم الأرض دفعة واحدة، أم حلّت بهم كارثة مثل قوم عاد وثمود؟! إننا لا نجد في المصادر التاريخية الموثوقة شيئاً من ذلك. ولو كان الكُرد قد جاؤوا من وراء الحدود التركية لاحتلال هذه المنطقة أما كان سكانها العرب أو الترك سيقاومونهم؟ أما كانت الحروب ستقع بينهم؟ أما كانت المصادر العربية والعثمانية، وسائر المصادر التي تناولت تاريخ محافظة حلب، ستذكر وقائع تلك الحروب؟ والحقيقة أنه لا يوجد مصدر تاريخي واحد نقل أخبار تلك الغزوات الكُردية، لسبب بسيط، هو أنه لم يكن ثمّة عرب ولا ترك في منطقة عفرين، وكانت المنطقة موئلاً للكُرد الرُّحّل.

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

9

المشكلة الكُردية في تركيا

من أغرب الظواهر السياسية العالمية أن كل بلد مجاور لتركيا له مطالب إقليمية صغيرة أو كبيرة في أرض (تركيا)، فإلى جانب مطالب

– **والدليل الثاني:** أن اسم منطقة عفرين كان يسمّى في العهد العثماني باسم (كُرد داغ) أي (جبل الكُرد)، وهذا واضح في الوثائق العقارية وغير العقارية التي ترجع إلى العهد العثماني، وكل من يرجع إلى أرشيف ولاية (كِلِّس) الكُردية التابعة لمحافظة عَيْنتاب في الجانب التركي من الحدود سيجد فيها اسم (كُرد داغ) باعتبار أن منطقة عفرين كانت تابعة لمنطقة (كلّس) حينذاك، فهل كانت الدولة العثمانية تسمّي الأشياء بغير أسمائها، ولو لم تكن المنطقة كُردية أرضاً وشعباً فهل كانت الدولة العثمانية ستطلق عليها اسم (كُرد داغ)؟

وبالمناسبة كان اسم (كُرد داغ) هو المعمول به رسمياً وشعبياً في سوريا منذ بدايات نشأة الدولة السورية، ثم عرّبت السلطات السورية العروبية اسم (كُرد داغ) إلى اسم (جبل الكُرد)، وكان الاسم الجديد مكتوباً في الخرائط الجغرافية التي كانت تدرّس في المدارس السورية خلال الخمسينيات من القرن العشرين، لكن مع ظهور النزعة القومية العروبية المتطرفة، بدءاً من الوحدة بين مصر وسوريا، وإلى يومنا هذا، بدأت حملة منظمة وشاملة لتعريب الأسماء الكُردية، فأزيل اسم (جبل الكُرد)، وسُمّيت المنطقة باسم (منطقة عفرين)، وسُمّي الجبل باسم (جبل حلب)– المترجم.

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

دول البلقان ثمة مطالب دولية معيّنة لكل من السوريين والكُرد والأرمن والجورجيين في أقاليم عديدة من تركيا.

إن گوتيوم، وگوردييين Gordyene، وكورديات‌ان Kurdiatan، وآشور، وأرمينيا، وإيبيريا Iberia[1]، وسوريا، كلها أسماء تاريخية ذات ماض متجدد، ولها مناطق يمكن تحديدها بسهولة، ويعرفها كل طالب من خلال الآثار الإغريقية والرومانية. وكل شخص مثقف يستطيع أن يضع يده على لِيديا Lydia، أو فِريجيا Phrygia، أو كاپّادوسيا Kappadocia، وأن يتذكر بعض الأساطير والمعلومات عنها، في حين لا تحمل الأسماء الحالية لهذه الأقاليم أي معنى للأشخاص العاديين ولا للمواطنين الذين ولدوا هناك، ويعيشون فيها الآن[2].

---

1 – الاسم القديم لجورجيا– المترجم.

2 – يقصد الكاتب أن الأتراك الذي يعيشون الآن في آسيا الصغرى (تركيا) غرباء عن تلك الأرض، وليست لهم جذور تاريخية عريقة فيها، وهو صادق فيما يقوله، فالمعروف أن القبائل التركية دخلت آسيا الصغرى في القرن الحادي عشر الميلادي، وخاصة بعد انتصار السلطان السلجوقي أَلْب أَرْسلان على الإمبراطور البيزنطي رومانوس في معركة ملازكرد سنة (463 هـ = 1071 م). انظر ابن الأثير: الكامل في التاريخ، 27/10. وابن أبي الهَيْجاء: تاريخ ابن أبي الهيجاء، ص 118– المترجم.

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

إن المطالبين الأربعة بأراضيهم الوطنية – السوريون، الكُرد، الأرمن، الجورجيون – مجتمعون على التأكيد بأن تركيا قوية وذات سيادة، وأنها دولة جارة ذات مكانة حيوية، وعندما تتلاقى مطاليبهم المشروعة يستطيعون أن ينسّقوا العمل فيما بينهم، كما فعلوا طوال قرون في الماضي.

والكُرد، من بين هؤلاء المطالبين الأربعة، هم وحدهم الذين ليس لهم دولة قومية، وليس لهم مركز وطني يتمركز فيه كل حبهم وطاقاتهم وولائهم ومواهبهم. إن القادة الوطنيين لحزب خُويْبُون كانوا يرغبون في امتلاك زاوية صغيرة من أرض أجدادهم التاريخية، ليستطيعوا أن يمارسوا بحرية، ودون أية عرقلة أو تدخل خارجي، تعليم أولادهم بلغتهم الأم، ونشر كتبهم وصحفهم، وجمع ملاحمهم الشفوية وأغانيهم وفولكلورهم الغني، ودراسة تاريخهم القديم والمعاصر، وتشكيل قوانينهم، وحكم أنفسهم بأنفسهم لما فيه منفعتهم، فهل يستطيع أقوياء العالم أن ينكروا هذا الحد الأدنى من الحرية لهذا الشعب الكُردي الشجاع النشيط؟!

لقد شاءت العناية الإلهية أن يستقر الكُرد طوال أربعة آلاف عام في أراض مرتفعة ذات أهمية عالمية كبيرة، وقد سبق القول أنهم أثبتوا قدرتهم على إثارة تعقيدات عالمية تنتشر وراء حدود موطنهم.

ولم تسجَّل إحصاءات سكانية دقيقة للكرد في تركيا؛ إن **گابريل أفندي نوردونقَين** Gabriel Effendi Nordunghian الذي كان

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

مستشاراً قانونياً مقرّباً من (الباب العالي)، وسناتوراً (نائباً) ووزيراً للخارجية في تركيا خلال سنتي (1912 – 1913 م)، أخبرني أنه قبل سنة (1914 م) كان المبدأ التركي المتبع في تسجيل الإحصاءات هو إضافة (25 %) إلى العدد الحقيقي للأتراك، ونقص (25 %) من العدد الحقيقي للأجناس الأخرى غير التركية في الإمبراطورية. وسألته عن رأيه في الإحصاء الأول الذي نفّذته تركيا الجمهورية سنة (1927 م)، فكان جوابه أن تركيا قد تكبّدت خسائر كبيرة سنة (1911 م) وسنة (1923 م)، لذا ضاعفوا عدد الأتراك هذه المرة، وأنقصوا عدد أجناس الأخرى بنسبة (50 %).

وفي كتاب موثَّق عن تركيا، نشره مستشار ألماني لوزير الداخلية التركي سنة (1915 م)، جاء أن الرقم الفعلي للسكان الكُرد في الإمبراطورية العثمانية كما سُجّل هو (800000) ثمانمئة ألف نسمة، وهذا الرقم منخفض حقاً عندما نعلم أن الأعداد الكُردية الكبيرة في كل من العراق وسوريا مشمولة أيضاً. وبعد عمليات الترحيل القسري وارتكاب المجازر وحلول المآسي في أعقاب الانتفاضات الثورية، يبدو من الصعب جداً أن نعطي رقماً صحيحاً لعدد الكُرد حتى على وجه التقريب. إن وكالة عصبة الأمم التي أُعلنت رسمياً سنة (1925 م)، أثناء النزاع على حدود الموصل، قدّمت الأرقام الآتية عن العدد الكامل للكرد:

– في تركيا: 1500000 مليون وخمسمئة ألف نسمة.

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

- في إيران: 700000 سبعمئة ألف نسمة.
- في العراق: 500000 خمسمئة ألف نسمة.
- في سوريا والأماكن الأخرى: 300000 ثلاثمئة ألف نسمة[1].

المجموع : 3000000 ثلاثة ملايين.

ولا ينبغي أن ننسى المجازر وحملات الترحيل القسري الجماعي للشعب الكُردي التي حصلت خلال انتفاضة سنة (1925 م)، والتي حصلت على نطاق أوسع خلال سنوات (1930 – 1932 م).

1 – لا توجد إحصائية دقيقة بأعداد الكُرد، وطبقاً للتقديرات الخاصة بنسبة تزايد عدد السكان في شرقي المتوسط فإن عدد الكُرد لا يقل عن حوالي ثلاثين مليوناً، ويقدّره بعض الكُرد بما يتراوح بين خمسة وثلاثين وأربعين مليوناً – المترجم.

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

10

الكُرد وراء القوقاز

يوجد حوالي (80000) ثمانين ألف كُردي وأيزدي[1] في الجمهوريات السوفياتية الثلاث وراء القوقاز، والعدد الأكبر منهم موجود في أرمينيا، حيث يرعون مواشيهم على سفوح **جبال ألاغيز** Alaghiaz وفي الأودية المجاورة. وفي سنة (1927 م) أُعدّت لهم أبجدية خاصة بأحرف لاتينية قابلة لنقل صوتيات اللغة الكُردية، وأنشئت لهم مدرسة تدريب في **يريڤان** عاصمة أرمينيا، ولهم مدارسهم الخاصة ومعلموهم ومسارحهم ونواديهم الرياضية.

وحديثاً قام المؤلفون الكُرد بتحويل القصائد الملحمية الكُردية إلى مسرحيات مثل ملحمة (مَمْ وزِين) Mam U Zin لتُقدَّم على المسارح، وبُذلت المساعي لجمع كل الفولكلور الكُردي، مع مئات الأغاني والقصائد والحِكم، وقصص الحيوانات، والأمثال الشعبية. وتُستعمل

1 – سبقت الإشارة إلى أن الأيزديين كُرد أقحاح– المترجم.

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

الكتابة اللاتينية أيضاً للمنشورات الكُردية في سوريا، بينما تُستعمل الأبجدية العربية عند الكُرد في العراق وإيران.

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

11

علم الأعراق البشرية (الإثنولوجيا) ومزاج الشعب الكُردي

في خطاب سري وجّهه **الشيخ عُبيد الله نَهْري**، الذي كان زعيماً دينياً رفيع المقام، إلى القنصلية البريطانية سنة (1880 م)، تحدّث عن الحقائق المتعلقة بديانة الكُرد وبالعرق الكُردي؛ لقد كتب الشيخ يقول:

" **الشعب الكُردي له خصوصيته، ديانته مختلفة عن ديانة الآخرين، وكذلك تقاليده وأعرافه،...**".

ولو أن الشيخ كتب تصريحاً علنياً حول ديانة الكُرد لأكد أنهم مسلمون، ومذهبهم سنّي، وأنهم متديّنون جداً، وهذا صحيح إلى حد ما فيما يتعلق ببعض العشائر الكُردية التي لها صلة وثيقة بالعرب في الجنوب. وما عدا ذلك فإن الكُرد بشكل عام غير متزمّتين في قضايا العقيدة الدينية والعبادة، وثمة كرد كثيرون يشاركون شكلياً في الصلوات العامة والواجبات الدينية، وكثيرون منهم يزورون المزارات المسيحية أيضاً، ويَنذرون النذور.

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

وفي قضايا الدين والولاء يجب أن نميّز بشكل واضح بين الكُرد الذين يعيشون في المدن حيث توجد المساجد، وبين الرحّل أو الذين يعيشون في القرى. وحينما كانت السلطة التركية في أوج قوتها وحتى الثلاثينيات من القرن الماضي[1] كان كثيرون من زعماء الكُرد يذهبون إلى الحج في مكة، ويتعلمون القرآن باللغة العربية، ولكن في اللحظة التي ضعفت فيها كل من تركيا وإيران، وطلبتا الحماية من القوى المسيحية تلاشى ذلك الحافز.

إن ظهور الحماس الديني عند الكُرد وغيابه، والمجاهرة بالطائفية، كانا تبعاً لمواقعهم الجغرافية وظروفهم التاريخية، وما كان الدين عندهم يتشكل في قوالب وصيغ جامدة، إن فكرة الله القادر على كل شيء هي كونية عميقة الجذور في نفوسهم، وهذا الاعتقاد شائع عند جميع الكُرد.

ومن وجهة نظر الدين والطقوس فإن الأيزديين مختلفون تماماً عن الكُرد؛ إذ لديهم كتبهم المقدسة بالعربية والكُردية، ونظراً للمجازر المستمرة التي ارتُكبت بحقهم، والاضطهاد الذي حلّ بهم من قبل الترك، لا توجد طبعات معتمدة وموثّقة من كتبهم إلى الآن[2]، هذا مع أنه جرت

---

1 – القرن التاسع عشر– المترجم.

2 - Ismail Beg Chol (Yazidi Amir of Sinjar): The Yzidis, pass and present, being three original texts about Yazidi doctrines, costoms and some events of their history… edited by Costi K. Zurayg (1934) Beirut. The American press.

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

محاولات لترجمتها إلى اللغات الأوربية. والحق أن طبيعة عبادتهم وأسرار طقوسهم ليست بسيطة كما توصف عادة، ومن الخطأ أن نسميهم (عَبَدة الشيطان) دون فهم الأسرار التي تشكل عقيدتهم[1].

ولا يخفى أن الاكتشافات الأثرية خلال الثلاثين سنة الماضية ألقت الضوء على أسماء، هي ليست لدول وأقطار منسية فقط، بل هي لأجناس قديمة أيضاً، وأثارت هذه الاكتشافات مشاكل أكثر مما قدّمتها من حلول؛ فتنوّع النماذج الجسمانية المرسومة على النصب التذكارية

توجد كتب أيزدية أخرى ما طُبعت بعد.

1 – المسألة بالنسبة إلى اعتبار الأيزديين (عبدة الشيطان) هي نتاج خليط معقّد من الجهل وسوء الفهم والنزعة الإقصائية في التعامل مع عقائد الآخرين، ففي العقيدة الأيزدية لا يوجد كائن شرير اسمه (شيطان/ إبليس)، فالله في العقيدة الأيزدية– سليلة الأزدائية الدين الكُردي القديم– خيرٌ مطلق، ولا يصدر الشر من الخير المطلق. أما سبب غضب الأيزديين من لعن الشيطان فسببه أنهم يعدّون الملاك عَزازيل (ملك طاووس) رئيس الملائكة، وأنه لم يخسر مكانته عند الله تعالى، وهو لذلك يستحق التبجيل، وهم في الحقيقة لا يعبدونه وإنما يبجّلونه، ولا يرضون بلعنه، تماماً كما أن المسلمين مثلاً يبجّلون الملاك جبريل ناقل الوحي، ولا يرضون بأن يلعنه أحد. أمّا في الديانات السماوية الثلاث فجاء أن الله اختبر عزازيل رئيس الملائكة، فأمره بالسجود لآدم، فلم يسجد عَزازيل، باعتبار أن السجود لكائن آخر يعدّ شركاً بالله، لكن الله لعنه لأنه عصى أمره، وهو لذلك يستحق اللعن من قِبل أتباع اليهودية والمسيحية والإسلام– المترجم.

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

والآثار القديمة في الشرق القديم تبدو في يومنا هذا متمثّلة في المناطق نفسها.

في القرن (14 ق.م) قلّما كان ثمة اختلاط بين الأجناس، كما أن في العصور الحديثة من النادر أن يوجد اختلاط بينها في المناطق الجبلية العالية، وعلى الرغم من هذه الحقائق فإن تنوّع النمادج بين القبائل الكُردية مدهش، إن الكُرد بشكل عام أناس ذوو رؤوس مستطيلة، مع خصائص متميّزة بوضوح، ولهم شعور وعيون سود قاتمة (ضاربة إلى اللون البنّي)، وفي الغالب أنوفهم معقوفة، وفي الوقت نفسه ثمة كثيرون من الكُرد عيونهم زرق، وشعرهم أشقر، إضافة إلى وجود كرد آخرين لهم عيون وشعور سود، وأنوفهم مستقيمة. إن هذا التنوّع في النماذج لا يمكن أن يكون له أي علاقة بمسألة اختلاط الأجناس، لأنه موجود بين قبائل معروف أنها عاشت قروناً كثيرة بشكل منعزل، وتزاوجت فقط مع جيرانها القريبين، وتُعرف هذه الخصائص بالنموذج الأرميني[1].

1 – نقل **باسيلي نيكيتين**، عن الباحثين المتخصصين، كثيراً من المعلومات الخاصة بالكُرد من الناحية الأنثروولوجية (علم السلالات البشرية)، ونستعرض فيما يلي بعضها بإيجاز: ذكر **ستولز** أن الكُرد في شرقي كُردستان (في إيران) يتصفون بسمرة بشرتهم، وأن شكل جمجمتهم من نوع Brachycephales، ويشبهون في ذلك الفرس الذين يجاورونهم.

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

وذكر **فون لوسشان** أن الكُرد الغربيين في مناطق كُوماجين (قرب قَرَه قُوج) في نمرود داغ وفي زنجيرلي تتصف نسبة كبيرة منهم بأنهم شقر الألوان والشعور، وشكل جمجمتهم من نوع Dolichocephalse.

وتوصّل **فون لوسشان** إلى أن الكُرد هم في الأصل شعب أشقر اللون أزرق العيون ونوع جمجمتهم من صنف Dolichocephalse، وفسّر كون بعض الكُرد، في بعض المناطق، سمر البشرة ونوع جمجمتهم من صنف Brachycephales، بتزاوجهم مع الترك والأرمن والفرس. ويفترض لوسشان أن الكُرد الأولين (الشقر) نزحوا من شمالي أوربا دون أن يدّعي بالضرورة أنهم من العناصر الجرمانية.

ويعتقد **باسشماكوف** أنه عندما تتضح الأمور الأساسية الخاصة بالسومريين، (هل هم من نوع (Brachycephales) أم لا؟) ستتضح الأمور الأساسية بشأن أنثروبولوجيا الكُرد أيضاً؛ لاحتمال أن يكون السومريون الصورة الأولية للكرد.

ونقل نيكيتين عن **سُون** من كتابه(رحلة في بلاد ما بي النهرين وكُردستان) ما يلي: " **إذا نظرنا إلى الكُردي في تكوينه الجسدي فلا شك في أننا نجد أنفسنا أمام نموذج متكامل؛ إن الكُرد الشماليين رجال نحاف طوال القامة– قلما تجد البدين المفرط البدانة بين الكُرد– أنوفهم طويلة إلا أنها معقوفة قليلاً في الغالب، أفواههم صغيرة، ووجوههم بيضوية الشكل مستطيلة، ويربّي الرجال عادة شوارب طويلة، ويحلقون ذقونهم بلا استثناء، ويغلب فيهم اللون الأشقر، وإذا وضعنا طفلاً كُردياً من هذا النوع بين مجموعة من الأطفال الإنكليز لم يمكننا التمييز بينه وبينهم؛ لأن له بشرة بيضاء شأنهم**".

" **أما في الجنوب فتكون الصورة أكثر توسعاً، والمشية أكثر ثقلاً، وبين 40 رجلاً من العشائر الجنوبية، اختيروا عشوائياً، كان تسعة منهم أقل من ستة أقدام طولاً، رغم أن معدل الطول كان بين بعض العشائر خمسة أقدام وستة إنشات، خطواتهم**

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

وطبقاً لعلماء الأنثروبولوجيا فإن هذا الشكل قد ساد بدءاً من إيجيان[1] وانتهاء إلى زاغروس، ومن القوقاز وبحر قزوين شمالاً إلى الخليج الفارسي[2]، كما أنه مثال تاريخي قديم للحِثّيين، والخوريانيين Khurrians[3]، والميتّانيين، والگوتيين والعيلاميين، وربما السومريين

واسعة ولكنها بطيئة، وتحمّلهم المشاقَّ في العمل كبير، والجبليون منهم ذوو قوام مستقيم، إنهم قوم معتزون بأنفسهم، ويبدو من أشكالهم والهيبة بادية عليهم أنهم يرون في أنفسهم ميديي العصر، وأنهم قادرون على أن يغدو من جديد، شرط اتحادهم فيما بينهم، أمة قوية مقاتلة تستطيع، بفضل خصائصها، أن تقبض بيديها زمام الأقوام الأخرى التي تعيش بينهم".

لقد رأيت بينهم العديد من الرجال الذين يحملون وجوهاً غامضة؛ الشعر رائق ومسترسل، والشارب طويل سابل، والبشرة صافية؛ كل ذلك يقدم حجة مقنعة إذا أمكن اعتبار الوجه معياراً، على أن الأنكلو–ساكسون والكُرد يرجعون إلى أصل واحد، حتى وإن لم يكن هناك دليل آخر مستنبط من لغتهم". باسيلي نيكيتين: الكُرد دراسة سوسيولوجية وتاريخية، ص 63 – 65.

والحقيقة، وفي حدود معرفتي باللغة الإنكليزية وهي متوسطة، ثمة بين اللغتين الكُردية والأنكلو–ساكسونية شبه كثير في المفردات والبنى اللغوية، وأترك الأمر في هذا المجال للسادة اللغويين– المترجم.

1 – الأرجح أن الكاتب يريد شواطئ بحر إيجا في آسيا الصغرى– المترجم.

2 – الخليج الفارسي هو الاسم التاريخي لـ (الخليج العربي) – المترجم.

3 – لعل المقصود هم الحوريون، ومعروف أن (حوري) و(ميتّاني) اسمان لشعب واحد– المترجم.

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

أيضاً، وباستثناء الشعب الأخير فهؤلاء يعتبرون أقدم الشعوب الآرية، وكانوا يحاربون إلى جانب طبقة النبلاء في المراكب الحربية، ويقاتلون بالفؤوس الحربية. ولسوء الحظ فإن القليل يُعرف عن عاداتهم وديانـاتهم القديمة، لأن الأرض الأرمنية والكُردية لم تكشف بعدُ عن كل آثارها القديمة.

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

12

تطوّر الكُرد وإمكانات النجاح

إن تأثيرات الحوادث المثيرة خلال الثلاثين سنة الماضية على الكُرد (تفكيرهم السياسي، إضافة إلى الظروف الاجتماعية تماماً كما هو الأمر عند الأمم الأخرى في آسيا الصغرى) كانت جذرية بالمعنى الحرفي للكلمة، ويمكن القول بأن هذه التغييرات الأساسية لم يتمّ تقويمها وإدراكها بشكل كامل من قبل الغرباء عن المجتمع الكُردي.

فقد انتقل الكُرد من مستوى الخصومات والانقسامات العشائرية إلى مستوى الوعي القومي والتماسك القومي اللذين ما كانا موجودين قبل جيل مضى، إن أي نداء وطني من أي ممثل كُردي أصبح يلقى استجابة سريعة، وعلى الصعيد الشكلي لا تبدو الحركة الكُردية مترابطة على نحو كاف، ولكن من الخطأ الاستخفاف بقدراتها وطاقاتها الكامنة.

إن عادات الكُرد القديمة وأخلاقهم البدائية وُصفت بسخرية من قبل كثيرين من الرحّالة، وربما تستمر تلك الحالة بين الكُرد الذين يسكنون الأقاليم البعيدة وغير المتطورة في أعالي الجبال، مثلما كانت عليه الحال في البلدان المتمدنة منذ قرن مضى، غير أن المثقفين الكُرد أثبتوا جدارتهم في كل فروع النشاط الإنساني. والحقيقة الهامة التي يجب ألا

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

نغفل عنها فيما يتعلق بالكُرد هي عيشهم طوال قرون تحت أشد الظروف عدائية، وصمودهم للشدائد التي واجهتهم.

فاليوم لا يوجد شعب يُدعى (الحثيون) أو (العيلاميون) أو (السكيث)، ولكن يوجد شعب يدعى (الكُرد)، وهم ما زالوا يعيشون في المنطقة الجغرافية نفسها التي كان يسكنها الكُرد في گوتيوم منذ (4000) أربعة آلاف سنة مضت.

والكُرد اليوم كما كانوا في السابق شعب ذوو نفوس مبتهجة، وهم أصحّاء جسمياً وروحياً، وخالون تماماً من أي أثر للعُصاب، ويهتم الكُردي العادي بالآلات، ويبرع في المهن والصناعات، ويستطيع أن يتغلّب بسهولة على تفاصيل أية مشكلة. وطوال قرون حافظ الكُردي على نفسه بالحِراب والأقواس والمقاليع والسيوف، هذه الأسلحة التي كانت تُظهر شجاعته الشخصية العصبية في الأزمنة القديمة، وهو واثق بأنه، في المستقبل، سيتمكّن من التعامل مع الطيران أو الكيمياء كالشعوب الأخرى.

أما النساء الكُرديات فهن طبيعيات وغير معقَّدات، وذات أخلاق عالية، وبالرغم من أنهن لسن ناعمات من منظور الذوق الحضاري الأوربي، إلا أن جمال الشكل علامة متميّزة فيهن، وإن أنواع السجاد الجميل، والملابس والمطرّزات التي يصنعنها سوف تقودهن مستقبلاً إلى

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

مهن أرقى عندما يتثقّفن، وهن مثل رجالهن حسّاسات جداً، ومرهفات السمع للموسيقا والشعر.

وفي الزُوزان[1] الذي يسكنه رجال **قبيلة جِبْران** Jibran، على سفح **جبل بِنْغُول داغ** Bingol Dagh (بين أرضروم ومُوش)، شاهدت منظراً غريباً في إحدى الليالي المقمرة؛ كان ثمة شاعر كُردي يروي وينشد قصة حب، يحارب فيها شاب بيد واحدة ثلاثة عشر مهاجماً من أجل الدفاع عن عروسه الموعودة، وبعد أن أطلق رصاصته الأخيرة، وأصيب بجروح كثيرة، استلّ خنجره، وبكلمات مشجّعة راح يخاطب عروسه التي انحنت عليه لتداوي جراحه، وعند هذا الموقف ارتفع صوت الشاعر، وأنشد الكلمات بحماس كبير، وفي الحال تفاعل حوالي ثلاثين رجلاً وامرأة كانوا في الخيمة بعمق مع الحدث، وأجهشوا بالبكاء.

وفي الحقيقة لا يوجد شيء في العالم لن يتعلّمه الكُرد بذكاء وبسرعة مثل جيرانهم الآخرين، وهذا الاستعداد الفطري للتعلم عند الكُرد سيدفعهم إلى عدم الرضا السياسي أكثر فأكثر، ولا سيما عندما يرون وطنهم مقسّماً بين الجيران الذين يُنكرون عليهم حقوقهم الوطنية حتى في الحكم الذاتي؛ وهنا تكمن مادة قابلة للانفجار في شرايين آسيا الغربية. ويتكلم الكُرد لغة آرية، وثمة كلمات كثيرة في لغتهم لها جذور في الكلمات الهندو – أوربية.

---

1 – زُوزان zozan هو المرعى الجبلي الذي يرتاده الكُرد بقطعانهم صيفاً– المترجم.

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

وقد نادى **حزب خُويْبُون** سنة (1927 م) باستقلال كُردستان، واتخذ ديار بكر (آمد) عاصمة لها، وهذا اختيار معقول؛ إذ طبقاً للتوزع الحالي للشعب الكُردي تعدّ ديار بكر مدينة مركزية، فالشعب الكُردي يسكن المناطق المحيطة بمَلَطْية، وفي الفرات الأوسط، وفي الأقاليم المحيطة به، وفي أعالي سلسلة جبال طوروس، وفي منحدراتها على كلا الجانبين، وعلى شواطئ دجلة حتى جزيرة ابن عمر، وفي المناطق التي قامت فيها كل من مملكتي گوتيوم وكاشّو القديمتين، واللتين سمّيتا في العصور الوسيطة باسم (شَهْرَزُور).

وقد رسمت **معاهدة سيڤر** سنة (1920 م) حدود كُردستان بشكل صحيح، طبقاً للحقائق العرقية والاقتصادية الحالية. وتاريخ العالم هو الحَكَم بين العالم، وإن تاريخ أربعين قرناً، ورجولةً نشيطة، تدعمها مصادر طبيعية وفيرة، يجعل من الصعوبة بمكان توقّع أن يقتنع الكُرد بهذه الظروف السيئة التي يجدون فيها أنفسهم اليوم.

إن الكُرد يعرفون أن جذورهم راسخة في ترابهم الوطني، وأن ذلك معروف دولياً، رغم أنه كانت توجد في غربي كُردستان وفي شرقيها إمبراطوريات، وكانت، خلال أجيال عديدة، السبب في خلق مشاكل سياسية ونفسية معقَّدة للشعب الكُردي.

إن بلداً مهماً مثل كُردستان جدير باهتمام كبير، وإن شعباً أصيلاً مثل الشعب الكُردي يستحق معاملة أفضل مما يلقاه الآن، وإن تاريخ

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

الكُرد القديم والحديث يؤكد أنه باستطاعتهم أن يقتحموا المخاطر عندما يجدون أن القتال من أجل حقوقهم السياسية الوطنية، في ظل الظروف العالمية الحالية، يمكن أن يجد أصداء وراء حدود آسيا الغربية.

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

الملاحـق

ملاحق الفصل الثاني

1- كُرد وكُورت:

بالنسبة لموقف الإمبراطوريتين (التركية والفارسية) حيال الشعب الكُردي لم يكن يوجد تفسير أفضل من اللعب بالألفاظ على الاسم العرقي للكرد. وبالصدفة العجيبة فإن كلمة **كورت** Koort تعني (ذئب) في اللغة التركية وفي اللغة الإيرانية الحديثة. ولم يفشل العلماء المختصون في أصول اللغات، وفي تاريخ كلا الإمبراطوريتين، أن يكتشفوا التماثل بين كلمة (كُورت) Koort والاسم العام (كرد) Kurd. والحق أن هذه النظرية مزيَّفة تماماً، ومع ذلك فهذا المصطلح المزيّف يلخّص نظرية سياسية متفقة مع الممارسات الفعلية، ويضعها الترك موضع التطبيق بشكل دَوري.

وأحد أسباب استبعاد هذه الفرضية المبنية على التماثل بين (كُورت) التركية والإيرانية وكلمة (كُرد) يكمن في أن كُردستان (گوتيوم)

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

وشعبها كانت مملكة مستقلة حوالي ألفي سنة قبل أن يكون للفرس أو الترك وجود حضاري في المنطقة، وهذا دليل تاريخي موثوق يؤكد أن التفسير المذكور للاسم الكُردي القومي (كرد) مزيَّف تماماً، ولعل الفكرة من وراء هذا التفسير هي التعبير عن الخوف والكراهية التي تكنّها الإمبراطوريتان المجاورتان تجاه الشعب الكُردي المتحصّن في جباله المنيعة[1].

2- الموقع التقريبي لگُوتيوم:

يمكننا أن نستدل على الموقع الجغرافي التقريبي لأرض گوتيوم من المصادر السومرية والأكّادية الكثيرة والمبهمة، أو من الكتابات المسمارية البابلية، وتأتي صعوبة تحديد موقع مملكة گوتيوم من أسماء كثيرة أطلقتها الدول المجاورة على الجبال التي كان السومريون الأوائل يعرّفونها

1 - المشهور أن كلمة (كورد) في الفهلوية أو الفارسية القديمة تعني (بطل، شجاع، صنديد). هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى لقد نشأت أسماء معظم الشعوب- ولا سيما العريقة منها مثل الكُرد- في طور تاريخي قديم جداً مختلف بمفرداته اللغوية وبثقافته عن العصور الحديثة، وترجع بعض تلك الأسماء إلى أصول عفا عليها الزمن، أو ترجع إلى دلالات ميثولوجية قديمة لم تعد معروفة الآن، أو أن التسميات التي أطلقتها الشعوب المجاورة أو الشعوب الغازية- خاصة إذا كانت إمبراطورية- هي التي راجت وشاعت في المصادر التاريخية؛ لذلك ليس من الموضوعية اعتماد دلالات اسم شعب في لغات شعوب أخرى مدخلاً لتحديد هوية ذلك الشعب- المترجم.

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

على أنها گوتيوم. ويمكن الافتراض بأن جغرافية گوتيوم أصبحت معروفة على نحو أكثر مع الهجوم الذي بدأه الملوك العظام لكل من أكّاد وبابل ضد المناطق الجبلية الواقعة في شرقي دجلة.

ولا يمكن معرفة علاقة أراضي مارخاشي Markhashi وكاشّو Kashshu، ولولوبي Lulubi وزامُوا Zamua بأرض گوتيوم. ومن الواضح أن ثمة العديد من التداخلات التي لا يمكن تمييزها بدقة في المرحلة الحالية من البحث، وتتجلى هذه المعرفة الناقصة بالممالك القديمة في كتابات شاروكين (سرجون)، الملك الأول ومؤسس مملكة أكّاد (آگاد) حوالي سنة (2050 ق.م)[1].

وكمحاولة أولى لرسم خريطة للعالم قام بها علماء عظام، مثل: إ. فورر، أ. هـ. سايس، سدني سميث، أ. أُونْغناد، وآخرون كثيرون، ناقشوا أقدم خريطة للعالم من جهات نظر عديدة، يظهر أن معرفة **شاروكين** بجغرافية الأقطار التي يذكرها لم تكن صحيحة؛ إنه ينسب إلى مملكة أكّاد منطقة بـ (180) ساعة مضاعفة، وهذا ما لا يمكن أن يتطابق مع الواقع، إن **شاروكين** يعطي امتداد الطرق (الامتداد الجغرافي) لأقطار عديدة، يدّعي أنها خضعت له، حسب الترتيب التالي:

---

1 – المشهور أن سرجون الأول أسس الدولة الأكّادية في سومر حوالي سنة (2350 ق.م). أما سنة (2050 ق.م) ففيها ظهرت في أرض الرافدين قوانين أور – نمو Ur-Nammu مؤسس الدولة السومرية الثالثة في أور. انظر سبتينو موسكاتي: الحضارات السامية القديمة، ص 67، 96 – المترجم.

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

1 – أرض مارخاشي Markhashi (غربي ميديا): طول الطريق (40) ساعة مضاعفة = حوالي (425) كم.

2 – أرض تُوكريش Tukrish: طول الطريق (50) ساعة مضاعفة = (640) كم.

3 – أرض عيلام Elam: طول الطريق (90) ساعة مضاعفة = (960) كم.

4 – أرض أكّاد Akkad: طول الطريق (180) ساعة مضاعفة = (1920) كم.

5 – أرض سُوبارتو Subartu: طول الطريق (120) ساعة مضاعفة = (1280) كم.

6 – أرض آشْسي Ashsi (الآشوريين): طول الطريق (120) ساعة مضاعفة = (1280) كم. (يطلق و. ف. ألبرايت W. F. Albright، في مجلة المجتمع الشرقي الأمريكي، اسم خالسي Khalsi على هذه المنطقة، وإذا تأكد ما ذهب إليه فذلك يعني أن مملكة أكّاد كانت تشمل أرض الآشوريين المتأخرين).

7 – أرض لولوبي– توروكّي Lulubi- turukki: طول الطريق (90) ساعة مضاعفة = (960) كم.

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

8 – أرض أنزان Anzan : طول الطريق (90) ساعة مضاعفة = (960) كم.

ونلاحظ هنا أن اسم گوتيوم لم يوجد في قائمة الأقطار التي عدّها **شاروكين** أهم ممالك عصره، لذا يسود الاعتقاد بأن گوتيوم مشمولة ضمن واحدة من الأسماء المذكورة أعلاه، ومن المحتمل أن تكون مع آشور أو لولوبي– توروكي[1]. وكذلك لا يوجد لگوتيوم ذكر في مخطوطات الملك **نارام سين** ملك أكاد، الخليفة الثالث لشاروكين (سرجون)، ويسجل **نارام سين** حملته الظافرة ضد ائتلاف سبع عشرة مملكة ممتدة من الخليج الفارسي إلى أرمينيا وبلاد الحثيين في وسط آسيا الصغرى.

3– أخطاء النقوش المتعلّقة بالكُرد Kurd– كورتيه Kurtie– كورتي Kurti:

لعل من المناسب هنا أن نصحّح خطأ ورد في دراسات النقوش، وسبّب اضطراباً كبيراً في الصورة الإثنوغرافية (العرقية) لهذا العصر الآشوري خلال فترة الخمسينيات من القرن الماضي[2]؛ فقد أصدر **السير**

1 – ذكر الدكتور جمال رشيد أحمد (مختص في تاريخ الشرق القديم) أن (توروكّي) قبيلة گُوتية، مر ذلك سابقاً، وسمّاها (توررو كو)– المترجم.

2 – القرن التاسع عشر– المترجم.

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

هنري رولنسون Henry Rawlinson، الذي فكّ الرموز المسمارية، خمس مجلدات للكتابة المسمارية، تلك التي عثر عليها في مواقع عديدة للآشوريين القدامى.

وكان من الحتمي، خلال عقود كثيرة، أن يخطئ فكّاكو الرموز في مجموعة محددة من الرموز المسمارية، تشير إلى (كور– تي) Kur- ti، (كورتي) Kurti أو (كورتيه) Kurtie باعتبارها اسم الأرض التي كانت تشمل حقاً معظم أرمينيا الشرقية. والتشابه اللافت لهذا الاسم المقروء خطأ مع كلمة (كرد) Kurd يبدو كأنه قد يبرّر تفسيرات كل أولئك الذين رغبوا في إثبات أن منطقة بحيرة وان هي كورتي Kurti، وعلى أية حال فقد صوّب إ. فورر E. Forrer هذا الخطأ سنة (1928م)[1].

4– <u>الملوك الگوتيون لأكّاد وبابل:</u>

اكتُشف أسماء عشرين من الملوك الگوتيين في مجموعات لوحات عديدة، إن بعض تلك الأسماء فُقدت كلياً، وبعضها الآخر وُجد جزئياً. والقيمة العظيمة لهذه الأسماء الگوتية تكمن في أصالتها المتميّزة، أسماء ملوك مثل إمبيا Imbia، إنغشيو Ingishu، وارلاغابا warlagaba، إيارلاغاش Iarlagash، آرلاغان Arlagan، تِيرِيكان Tirikan إلخ؛

1 – مرة أخرى يحاول الكاتب التدليل على أن المناطق الكُردية المتاخمة لأرمينيا هي أرمنية، واستبعاد الأدلة التي تؤكد أنها كُردية– المترجم.

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

إنها أسماء فريدة عبر ذلك المدى الطويل للحضارة الشرقية القديمة، وعلى الأقل في حدود المخطوطات التي نشرت إلى الآن.

وأحد هؤلاء الملوك الگوتيين الذين حكموا بابل يدعى **لازيراب** Lasirab، وهو اسم متميّز، وقد أقام نصباً حجرياً جميلاً لمعبد المدينة البابلية سِيپار Sippar، وبما أنهم لم يكونوا يمتلكون خطاً خاصاً بهم فقد كتب **لازيراب** باللهجة الأكّادية، وهو يذكر آلهة گوتيوم إضافة إلى الإلهة السومرية إنّيني Innini، وقد سمّيت فيما بعد نانا، Nana = أناهيتا Anahita، وإله القمر سين Sin.

5- الكاشّيون (Kassets):

أسماء الملوك الكاشّيين: غانداش Gandash، آغوم Agum، كاشتيلياش Kashtiliash، وخارب – شيپاك Khrabe - Shipak ، كاداشمان – خارب Kadashman- Kharbe... إلخ، إنها أسماء كاشّية مميَّزة ومختلفة تماماً عن الأسماء السومرية والأكّادية، مثلها في ذلك مثل الأسماء الگوتية. وقبل ذلك بوقت طويل كان الكاشّيون قد استقروا في مدن بابل السهلية بوصفهم عمالاً وتجاراً، وكان على السلالة البابلية الأولى ليس أن تواجه فقط الكاشّيين الأقوياء في التلال الشرقية، بل كان عليهم أيضاً مواجهة السومريين القادمين من الجنوب حتى الربع الأول من القرن السابع عشر قبل الميلاد. ويبدو أن الحثيين Hitties

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

الـذين قـدموا مـن آسـيا الصـغرى علـى طـول نهـر الفـرات سـهّلوا مهمـة الكاشّيين في قهر بابل.

6- المواقع المذكورة في نقوش الملك توكوليتي- نينورتا الأول Tukulti- Ninurta:

إن بعض تلك النقوش تبدو واضحة، وهي كالآتي:

أ – جبـال طـول- سينا Sina -Tul تبدو مطابقـة للإقليم الفارسـي الحـالي **أَرْدَلان** Ardalan المتمثّل بگوتيوم من الشرق مـع المدينـة المركزيـة سِنَه Sine = Senne كما هي اليوم. وإن بعض أقدم العـائلات الكُرديـة، وبعض أقوى القبـائل الكُرديـة، مـا تـزال تسـكن أَرْدَلان منذ عصور قديمة جداً.

ب – مدينـة ساسيلي Sasili أو شاسيلي Shasili تبدو مثل مدينـة چمچمـال Chamchamal الواقعـة علـى بعـد (70) سـبعين كيلـو متراً شمالي بغداد، على الطريق الرئيسي من **أرّابخا** (كركوك) إلـى سليمانية، والتي يمكن اعتبارها عاصمة گوتيوم.

ج – أرض زوكوشكي Zukushki ، هو الاسم الذي يتضمّن الاسم الحقيقي لزاغروس، وهي سلسلة الجبال التي تمتد من جنوب غربي فارس إلى طوروس الأرمينية.

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

د – لعل لارلار Lalar يمكن أن تتطابق مع گولار Gular الآشورية الأخيرة، وتدعى اليوم گولار داغ Kollar- Dagh، وهي تشكّل الحدود بين بيشدار Pishdar ورانيا. وتوجد في الحوليات المسمارية التي تعود إلى عهود ملوك آشور المتأخرين الذين خاضوا الحروب ضد الگوتيين أو العشائر الجبلية الكاشّية، أسماء لأمكنة أخرى كثيرة يمكن أن تتطابق مع أسماء المدن والقرى الحالية في كُردستان الواقعة شرقي دجلة، كالأمثلة القليلة المذكورة أعلاه، وهذا دليل على أن الوطن الأصلي للشعب الكُردي يقع شمال وشمال شرقي بابل مباشرة.

7– الأسماء الآشورية المرتبطة بگوتيوم:

إن أسماء المواقع الكُردية في السجلات طوال قرون نادراً ما تبدو متعاقبة كثيرة، وبدلاً من ذلك يذكر الملوك الآشوريون أرض لولوبي Lulubi، والأسماء الجديدة لزامُوا Zamua، ونامري Namri، وزيمري Zimri، وأسماء أخرى تتطابق مع مواقع الگوتيين القدامى، ويمكن تحديد هذه المواقع في الوقت الحاضر على نحو تقريبي.

8– ممر بابيت Babit:

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

إن ممر بابيت متطابق مع بازيان Bazian، وهو جبل وواد يقعان في شمال وشمال شرقي مدينة سليمانية، وهذه المنطقة مسكونة الآن بقبيلتين كُرديتين، هما قبيلة (هَماوَنْد) وقبيلة (جاف).

وإن اسم نور – أداد Nor-adad يبدو وكأنه النموذج الأصلي لاسم (نور الدين)، وهو اسم شائع بين العرب والكُرد في العصر الحديث، وإن قبيلة هَماوَنْد طردت الجيوش التركية مراراً، وفتكت بهم فتكاً ذريعاً، ويبدو أنهم الخلفاء الحقيقيون لأسلافهم من أيام الملك الآشوري آشورناتسيرابلي Ashurnatsirapli الثاني (885 – 859 ق.م).

9- الكُرد والميديون:

من بين الخدمات الجليلة التي قدّمها المؤرخ الإغريقي **هيرودوت** في مجال التعريف بالشرق القديم ما يمكن أن يوصف بخدمة الدب[1]؛ فقد كرر على نحو رتيب ذكر اللفظ العرقي (ميديا) والإمبراطورية الميدية، إلى درجة تشويش الحقائق التاريخية الكبرى التي كشف عنها الباحثون حديثاً. ومع ذلك فإن **هيرودوت** لا يلام على سوء فهمه لهذه التركيبة العرقية المعقدة في آسيا الوسطى، ويبدو أن هذا الخطأ نشأ في العهود البابلية الأولى، فأصبحت القبائل الكُردية تعدّ إلى يومنا هذا أخلافاً

1 – لعل الكاتب يقصد أن هيرودوت يريد أن ينفع فيَجلب الضرر– المترجم.

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

للميديين، ذلك الشعب الأسطوري الذي عزا إليه الإغريق وكتاب العهد القديم إمبراطورية عظيمة.

إن المعلومات المعاصرة الدقيقة، والمستقاة من مصادر مسمارية لأمم كثيرة، أثبتت أن اسم (مادا) Mada الذي يطلق على شعب هو اسم مغلوط منذ عصور قديمة يسميه هيرودوت ميديا Midoi، كما أن ميديا الأسطورية المصوّرة من قبل كتّاب الإغريق الكلاسيكيين تُلقي غمامة قاتمة على كل تاريخ أرمينيا وعلى التاريخ الكُردي، وسوف أناقش هذه المشكلة قريباً في مقدمة لتاريخ أرمينيا.

إن بعض النصوص السومرية– فيما يتعلق بالمفردات وتركيب الجمل– والتي نشرها البروفيسور إ. تشيرا I.Cheira، وشرحها أونغناد Ungnad، تُبيّن بوضوح أن السومريين استعملوا كلمة (مادا) كمرادف للأرض أو البلد، مثل **(مادا گوتيوم)** التي تعني أرض گوتيوم، و**(مادا عيلام)** بعدئذ التي تعني أرض عيلام. وحينما اقتبس البابليون من الموروث السومري طوال مئات السنين فقدوا المعنى الأصلي للكلمة، واعتقدوا أن (مادا) أرض معيّنة، أو شعب معيّن، وهم لم يستطيعوا تحديدها أبداً.

وفيما بعد ورث الآشوريون هذه التسمية من البابليين، وورثها الفرس والإغريق من الآشوريين، وورثه الموروث الكلاسيكي الأوربي من الإغريق. والحقيقة أن هناك مادات (جمع مادا) كثيرة في فارس الوسطى،

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

لكن لم تكن ثمة أرض معيّنة تدعى (ميديا)، فمدن همذان (إكباتانا) Ecbatana، وسلطان أباد، وقزوين، وريغى Ragy[1]، ومدن أخرى كثيرة في بلاد فارس الوسطى والشمالية، وغربي صحراء الملح، كانت محكومة دائماً من قبل عائلات أصلية أو خانات، وهناك دليل على أن ظروفاً مشابهة كانت تسود في أيام سومر وأكّاد، ونتيجة لذلك لم يوجد في السابق شعب ميدي ولا ميديا، ولا يوجد اليوم[2].

---

1 – الأرجح أن المدينة التي سماها الكاتب (ريغى) هي مدينة (رَغَه)، والاسم المشهور لها في كتب التراث العربي الإسلامي هو (رَيْ)، تقع أطلالها قرب طهران حالياً، وكانت مدينة شهيرة، ويُنسب إليها كثير من العلماء بلقب (رازي)، منهم الطبيب الرازي، والفخر الرازي صاحب تفسير القرآن، وآخرون كثيرون– المترجم.

2 – حينما تسيطر الذكريات الإمبراطورية على الكاتب يخرج عن إطار الموضوعية، ويعمل للإطاحة بالمعطيات والوثائق التاريخية، ورفض كل ما اتفق عليه الباحثون المحققون في الشرق والغرب، قديماً وحديثاً. إن الخلفية التاريخية التي ينطلق منها الكاتب هي الخلاف القائم بين الكُرد والأرمن حول مناطق شاسعة في شمالي كُردستان، فسكان هذه المناطق كرد، لكن الأرمن يقولون بأنها كانت أرمنية، وكانت ضمن الأراضي التي قامت عليها الإمبراطورية الأرمنية سابقاً، وقد ناقشنا سابقاً وجه الخطأ في مثل هذه المطالب الإمبراطورية، وكيفية البتّ في مثل هذه الخلافات التاريخية. والغريب أن الكاتب يرمي إلى الإطاحة بجزء هام من التاريخ الكُردي، نقصد التشكيك في وجود (الميد)، وهم من أبرز أجداد الشعب الكُردي، رافضاً المعلومات التاريخية التي ذكرها المؤرخ الإغريقي هيرودوت، وغيره من المؤرخين.

وإذا كان المقصود باسم (ماد) هو منطقة جغرافية، وليس اسم شعب، يبقى السؤال الآتي: ما اسم الشعب الذي سكن المنطقة التي عُرفت تاريخياً باسم (ميديا)؟

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

إن ملوك آشور العظام، مثل **شلمانصر الثالث** (858 – 824 ق.م)، و**تيغلات بيلاسر الثالث** (747 – 728 ق.م)، و**شاروكين (سرجون) الثاني** (722 – 705 ق.م) الذي غزا (مادا) مرات عديدة، يذكرون أسماء أمكنة كثيرة تقع اليوم في الأقاليم التي سبق ذكرها، وصحيح أنهم سجّلوا قهر (مادا) وفرض الجزية عليها، لكنهم ما كانوا يدرون أن أسماء الأماكن التي ذكروها كانت مادا (الأرض) ذاتها التي يقومون بالعمليات فيها.

إن القبائل التي سمّيت غالباً أُومّان– ماندا Omman- Manda (مرادف آخر لاسم مادا) هي التي ساعدت البابليين على الإطاحة بالآشوريين سنة (606 ق.م)، وكانت تلك القبائل من وسط بلاد فارس، ولا علاقة لها بالفرس الذين أشارت إليهم الكلاسيكيات الإغريقية، هذا في حين نجد الملك الآشوري **آشور بانيپال** (668 – 624 ق.م) الذي كان يحارب أخاه **شاما شوموكين** ملك بابل، يذكر الگوتيين بين شعوب أخرى كانت حليفة لهذا الأخير.

10- المرزبانيات (الولايات) الفارسية:

ومن هو الشعب الذي انطلق من (ميديا) للوقوف في وجه الإمبراطورية الآشورية، وتحالف مع البابليين لإسقاط تلك الإمبراطورية؟ هذا ما لا يحاول الكاتب الإجابة عنه. وما لا يشك فيه كل قارئ للتاريخ ومنصف أن سكان تلك المنطقة هم (الميديون) أجداد الكُرد، وليس الفرس ولا الأرمن ولا الآذريون– المترجم.

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

في قائمة الولايات الفارسية يجمع **هيرودوت**، من غير تمييز، أرمينيا وشعوباً عديدة حتى البحر الأوكسيني (بحر قزوين) Euxsin Sea، مع باكتيس pactyice التي هي في الحقيقة أرض بابخي Babkhi المشار إليها في الكتابات المسمارية، والتي هي مقاطعة بُوتان اليوم، ومن بابخي (بوتان) نشأ اتحاد القبائل الكُردية المعروفة بـ (هَفْتان بُخْت) Haftanbokht، و(چار بُختي)Charbukhti، والاسم الجغرافي الغامض (بادينان). إن هذه القبائل سكنت أصلاً في المنطقة الواقعة بين نهري الزاب الأعلى والزاب الأسفل، وشرقي دجلة (بوتان – صو)، حيث لا تزال تعيش تحت أسماء قبلية مختلفة. وقد تبيّن لنا فيما سبق أنه عندما ظهر الأتراك في النصف الأول من القرن السادس عشر فإن هذه القبائل اضطرت للهجرة على طول قمم جبال طوروس إلى أرمينيا وسوريا.

11- الساگارتيون The Sagartians:

في نقوشه الصخرية على صخرة بهيستون سمّى **داريوس**[1] الساگرتيان Sagrtians باسم آساگارت Asagarta، وغالباً ما تشير الكتابات المسمارية الأرمنية والأورارتية القديمة إلى هؤلاء على أنهم حلفاء لملوك أورارتو. ووصف الكتّاب الأرمن الكلاسيكيون الأشكال المختلفة

1 – المقصود هو الملك الأخميني دارا الأول– المترجم.

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

للوَهَق[1] في الحروب مع القبائل على امتداد منطقة القوقاز، ومن غير الصحيح القول بأن ساگارتيان- شكاكي كانوا يتكلمون الفارسية، إنهم اليوم، كما كانوا في العهود السابقة، يتكلمون لهجة كرمانجية نقيّة من المحتمل أن تكون اللغة القديمة للگوتيين، وهي أقدم بألفي عام من اللغة الفارسية.

12- زعماء قبليون في البلاط الأرمني:

ثمة على الأقل خمسة من الزعماء (مثل أمير آكي Ake، وقبيلة يزيدي هاجانان Hajanan في هَكّاري، وأمير أشاخمار Ashakhmar القبيلة الأيزدية المعروفة في العصور الوسطى) كانت لهم عروشهم وحاشيتهم في البلاط الملكي الأرمني، وكانوا على مساواة تامة تقريباً مع الأمراء الإقطاعيين النبلاء، هذا إضافة إلى أن الأسماء العرقية مثل كوردوخ، واسمي مار Mar-s، وميد Medes اللذين يذكرهما الأرمن القدامى، تؤكد وجود تعقيدات عرقية وجغرافية كبيرة لا يمكن معالجتها في هذا الكتاب بشكل مُرض.

1 – الوَهَق حبل خاص باقتناص الخيل– المترجم.

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

ملاحق الفصل الثالث

1 – الدَّرَه بَگات الكُرد الذين قدّموا أنفسهم للعثمانيين:

هم: شرف بگ في بدليس، ومالك خليل وريث سڤيرت Sghert[1] وحصن كيفا[2] في دجلة الأوسط، وهو الذي طرد الحاميات الفارسية من قلاعهم، ومحمد بگ في ساسون، وسلالة بدرخان العظيمة في جزيرة ابن عمر، والأمراء المتوارثون في أربيل وكركوك وسليمانية (وهم بجملتهم يشكّلون سلالة بابان التي أسست إلى حد ما مملكة شَهْرَزُور القديمة) وافقوا بشروط، وبگ ديار بكر الكُردي، وجَمْشيد بگ مَجْداسي، وأرمني مرتد[3] في پالُو Palu.

2 – الحُكمداريات:

في الأصل الحكمداريات التسع التي يحكمها الزعماء القبليون كانت حكمداريات أربيل، وكركوك، وسليمانية، وحِصْن كَيفا، وجزيرة ابن عُمَر، وهكّاري، وساسون، وعمادية Amadia وبَدْليس. ولكن كانت مدينة بغداد وعدد من المقاطعات الكُردية تنتقل، خلال القرنين (1516 – 1730 م)،

---

1 – لعل المقصود: سيرت– المترجم.

2 – المقصود: حَسَنْكَيف– المترجم.

3 – لعل المقصود بأنه أرمني اعتنق الإسلام– المترجم.

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

بين الإمبراطوريتين الفارسية والعثمانية، وكانت الاتفاقية الأصلية تُنسى ولا يُعمل بها. أما الاتحادات المتبقية للمجموعات الأيزدية في سنجار، والمِهْرانيون والمِلليون[1] في ديار بكر، والنزيبيون[2]، وأَرْغني- مادان، وقبائل زازا في درسيم، فكانت قد مُنحت لقب بگوات سنجق، مع حق الحكم الذاتي كالسابق، وسمّيت (حكومات كُردية).

3 – الحكم الذاتي في ظل السلطان محمد الفاتح:

بعد فتح قسطنطينية مباشرة سنة (1451 م)[3] وافق السلطان العثماني **محمد الفاتح** على منح صلاحيات كبيرة في الحكم الذاتي للإغريق والأرمن على الصعيدين الديني والمدني، ومنح بطاركة هذه الأمم حق إصدار حكم الموت على المذنبين من شعوبهم.

4 – اشتقاق كلمة (عجم):

يبدو لي أن اللفظة العرقية (عجم) مشتقة من الاسم الشخصي أخميني Akhmanish أو Hakhamanish الجد الأسطوري لمؤسس

---

1 – مرّ في الفصل السادس أن الكاتب عدّ قبيلة (مهران) و(مللي) اسمين لقبيلة واحدة، وعدّهما هنا قبيلتين مختلفتين، فهل كانت (مللي) فرعاً من مِهْراني قديماً، ثم استقلّت باسم خاص لها؟ – المترجم.

2 – النصيبينيون، نسبة إلى مدينة نصيبين– المترجم.

3 – كذا جاء في الأصل، والصواب: (1453)– المترجم.

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

السلالة الأخمينية الفارسية، ويقول **داريوس العظيم** (521 – 485 ق.م) في نقش بهيستون إن أجداده الثمانية كانوا ينحدرون من عرق ملكي، وأولهم وأعظمهم هو أخماني (أخمين)[1].

5 – حسابات أوربية لبلاد فارس الغربية وتركيا في نهاية القرن (18) وبداية القرن (19):

أسماء الأماكن التاريخية والأنساب الأسرية كانت تتغير في الغالب بمرور الزمن، نظراً لزوالها من الذاكرة، وأحياناً لأن الكتّاب الترك في إستانبول كانوا مهملين وغير مبالين بتسجيلها بدقة. وخلال الحروب النابوليونية على وجه خاص تجوّل كثير من البعثات البريطانية والروسية

1 – قد يكون هذا التوجيه في تأصيل حقيقة كلمة (عجم) صائباً. ولكلمة (أعجم/عجم)، في التراث العربي قبل الإسلام وفي الإسلام شعراً ونثراً، ثلاث دلالات:
– الأولى: هي إطلاق اسم (أعجم) على العاجز عن التعبير بفصاحة، وكانت هذه الصفة تُطلق على الحيوانات فسُمّيت (عجماء)، وقد توهّم العرب القدماء– بسبب عزلتهم– أن لغتهم وحدها قادرة على التعبير بشكل سليم، وانطلاقاً من هذا التوهّم صنّفوا الشعوب في فئتين: عرب (قادرون على التعبير)، وعجم (عاجزون عن التعبير) وهم سائر الشعوب.
– والثانية: هي إطلاق اسم (عجم) على الفرس خاصة، بسبب الجوار المباشر بين العرب والفرس، وما نجم عن ذلك الجوار من صراعات ثقافية وسياسية، ولا سيما في عصر الفتوحات الإسلامية.
– والثالثة: هي إطلاق اسم (عجم) على غير العرب بشكل عام – المترجم.

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

والفرنسية في شرقي تركيا وفي فارس، أملاً في كسب حلفاء بين شعوب تلك المنطقة، وكتبت تلك البعثات خواطر ممتعة من النواحي الجغرافية بالنسبة لشرقي تركيا، وأرفقت معلوماتها بمصادر تركية حصلنا على صورة موثّقة منها تعود إلى أعوام (1750 – 1830 م).

6 – باشاوية بغداد:

امتدت هذه الباشاوية من الخليج الفارسي إلى المنحدرات الجنوبية لطوروس الأرمنية. والباشاوات النشطاء من أصل كُولامان kolaman كانوا يبسطون نفوذهم حتى أرمينيا، للحصول على الضرائب والجنود على الأقل، وكانت حكومة كُولامان والجيش في بغداد مؤلفة من زعماء عرب وشركس وجورجيين وجبليين قوقاز، وقد احتشدوا في الجنوب طمعاً في الثراء.

7 – استقلال أشراف بابان:

في الغالب كان الزعماء الأشراف لقبيلة بابان، ومركزهم مدينة (سليمانية)، يحكمون على نحو مستقل، وفي سنة (1806 م) سحق **عبد الرحمن باشا بابان** الأفواج التركية، وبعد صراع غير متكافئ دام عامين، ونتيجة للخيانة، استسلم. وفي سنة (1812 م) بسط ابنه **أحمد باشا بابان** نفوذه إلى تخوم بغداد.

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

ملاحق الفصل الرابع

1 – حليفا بدرخان بگ المهمّان:

أ – محمود خان: أمير (آغا) الكُرد والأرمن كما كان يسمّى محلياً، إنه كان يحكم مُوك Mokk والمقاطعات الممتدة بين هكّاري والشواطئ الجنوبية لبحيرة وان، وهو الابن الأكبر لعائلة **عَقْدال خان** الكبيرة، ذات العقيدة الأيزدية، والتي نشأت في هكّاري، وهي فرع ينتسب إلى عائلة يزدين شَير Yezdin sher، وكان أبناء عائلة عَقْدال حكّاماً لمدينة وان بعد غزو تيمورلنك.

ولم ينفّذ **محمود خان** أية طموحات سياسية خاصة، ما عدا اتحاده مع **بدرخان بگ**، وحاول جاهداً ألا يسمح بأي نفوذ عثماني في شؤون إقليمه، وقد عمّ الأمن والعدل البلاد تحت نفوذه، وذكر ضابط بريطاني أن محمود خان كان يُعتبر شخصاً عظيماً، وقد سيطر لاحقاً على مقاطعة خاڤاسور Khavasur، ووصلت سلطة إسحاق باشا حاكم (وان) قليلاً إلى ما وراء السهل الذي تقع فيه المدينة.

وبعد عامين وجد قنصل بريطاني أن **محمود خان** بسط سلطته العسكرية على كافة المقاطعات المذكورة أعلاه، مع فارق واحد، هو أن الخان عبّر بحكمه عن خضوعه الاسمي للقيادة العثمانية في أرضروم، وشكا المواطنون من الضرائب الثقيلة، لكنهم كانوا مقتنعين بالسلطة

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

القائمة وبالبوليس الذي نظّمه محمود خان، وكانت سلطته تشمل مواطنين من عدّة قوميات، وكان من بين حلفائه القساوسة الأرمن، وزعماء شكاك، وهارتوشي، وقبائل أخرى، وأمراء أميرزاد في وان.

ب- نور الله بگ صاحب هكّاري، وهو ينحدر من عائلة حكمت هذه المنطقة الواقعة على الحدود الفارسية عدة قرون. وثمة قليل من المعلومات عنه، ما عدا أنه طمّاع وقاس، وأن تعاونه مع مشروع **بدرخان بگ** كان مبهماً حتى النهاية.

2 – الكتائب العشائرية:

كانت القبائل العشائرية الخيّالة[1] العاملة بإمرة القيادة التركية تتزوّد بالمقاتلين من أبناء القبائل العريقة في بوتان وجبل جودي، حيث منطقة نفوذ الأمير **بدرخان بگ** والحركة الوطنية الكُردية.

أما العشائر القوية؛ وهي مِيران، وتايان Tayan، وباتوان Batwan، ودُودَريس Duderis، وكَچان Kachan، وشِرْناخ، فقدمت حوالي أربعين كتيبة. وأما قبائل حَيْدران، وجِبْران، وجَلالان، ومُوغورس Mugurs، فقدمت حوالي عشرين كتيبة. وكانت ثمّة مجموعة ثالثة تتزوّد بالجنود من إقليم ديار بكر ومن المِلليين (المِهْرانيين)، وبقليل من الجنود الإضافيين من وَيرانْ شهر، ومن منطقة نهر الخابور.

---

1 – الفرق الحميدية– المترجم.

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

فهرس المراجع العربية

1. أبراهام مالمات، حاييم تدمور: العبرانيون وبنو إسرائيل في العصور القديمة بين الرواية التوراتية والاكتشافات الأثرية، ترجمة وتعليق دكتور رشاد عبد الله الشامي، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، الطبعة الأولى، 2001م.
2. ابن الأثير: الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، 1979م.
3. إ. م. دياكونوف: ميديا، ترجمة وهبية شوكت، رام للطباعة والتوزيع، دمشق.
4. باسيلي نيكيتين: الكُرد (دراسة سوسيولوجية وتاريخية)، ترجمة الدكتور نوري طالباني، دار الساقي، بيروت، الطبعة الثانية، 2001م.
5. سبتينو موسكاتي: الحضارات السامية القديمة، ترجمة الدكتور السيد يعقوب بكر، دار الرقي، بيروت، 1986م.
6. ابن الشحنة: الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب، تقديم عبد الله محمد الدرويش، دار الكتاب العربي، دمشق، 1984م.
7. عبد الخالق سرسام: صلاح الدين الأيوبي من جديد، رابطة كاوه للثقافة الكُردية، بيروت، 1999م.
8. الدكتور عبد الرحمن حميدة: محافظة حلب، منشورات الفن الحديث العالمي.

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

9. عبد الرقيب يوسف: حدود كُردستان الجنوبية تاريخياً وجغرافياً خلال خمسة آلاف عام، دار شفان، السليمانية، إقليم كُردستان، الطبعة الأولى، 2005م.

10. مجلة الحوليات الأثرية السورية، المديرية العامة للآثار والمتاحف، دمشق، المجلد العاشر، 1960م.

11. مجموعة من الباحثين: كركوك (بحوث الندوة العلمية حول كركوك) 3-5 نيسان 2001، دار آراس للطباعة والنشر، أربيل، كُردستان العراق، الطبعة الأولى، 2002م.

12. نوفل نعمة الله نوفل: كشف اللثام عن محيّا الحكومة والحكّام في إقليمي مصر وبر الشام، أوجزه جرجي ينّي، تحقيق ميشال أبي فاضل، د. جان نخول، جروس برس، طرابلس، لبنان، 1990م.

13. ابن أبي الهيجاء الإربلي: تاريخ ابن أبي الهيجاء، تحقيق صبحي عبد المنعم محمد، دار رياض الصالحين، الطبعة الأولى، 1993م.

14. ول ديورانت: قصة الحضارة، ترجمة محمد بدران، زكي نجيب محفوظ، الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية، القاهرة، 1957-1958م.

15. وليام لانجر: موسوعة تاريخ العالم، أشرف على الترجمة الدكتور محمد مصطفى زيادة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1959م.

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

فهرس المحتوى

الموضوع **الصفحة**

تقديم.

الفصل الأول: أحداث تاريخية لشعب عريق.

1- نستطيع أن نجابه العالم.

2- (الروم) يجب أن يرحلوا.

الفصل الثاني: التشويه المدنّس للشعب الكُردي.

1- الكُرد: رحلة إلى البدايات.

2- المملكة الكُردية- الگُوتية الأولى في بابل.

3- الكاشّيون يحتلون بابل.

4- بلاد آشور وكُردستان.

الفصل الثالث: الإسلام وكُردستان.

1- فتح كُردستان.

2- السلطان صلاح الدين والصليبيون.

3- غزوات المغول والتتار.

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

الفصل الرابع: الفتح العثماني والقبائل الكُردية.

1- النفوذ العثماني في كُردستان.

2- كريم خان زند ملك الفرس.

3- جغرافية كُردستان في العصور الحديثة.

الفصل الخامس: الثورات الكُردية ضد الأتراك.

1- الإرهاصات الأولى للمقاومة الكُردية.

2- ثور أحمد باشا راوندوز.

3- ثورة الأمير بدرخان بگ.

4- التاريخ يعيد نفسه.

5- ثورة الكُرد في بلاد فارس.

6- نشوء الحركة الوطنية الكُردية.

7- تنظيم الفرسان الكُرد.

الفصل السادس: الكُرد وتركيا الحديثة.

1- الثورة التركية والكُرد.

2- القبائل الكُردية والحرب العالمية الأولى.

3- المطالب الكُردية في مؤتمر السلام.

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

4- الانتفاضة الثورية الكُردية الأولى.

5- الحرب الثورية الكُردية الثانية.

6- الحرب الكُردية الثالثة.

7- التوزيع السياسي للكرد.

8- الكُرد في سوريا ولبنان.

9- المشكلة الكُردية في تركيا.

10- الكُرد وراء القوقاز.

11- علم الأعراق البشرية ومزاج الشعب الكُردي.

12- تطور الكُرد وإمكانات النجاح.

الملاحـق.

1- ملاحق الفصل الثاني.

2- ملاحق الفصل الثالث.

3- ملاحق الفصل الرابع.

فهرس المراجع العربية.

فهرس المحتوى.

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

نبذة عن المترجم

- أحمد محمود شَمُّو الخليل، وُلد سنة 1945 في قرية كُرْزَيل Korzél، منطقة عِفْرين Kurmênc Çiyayê بغربي كردستان (شمال سوريا حالياً)، درّس في جامعة حلب، ثم في جامعة الإمارات العربية المتحدة، مهتمّ بالدراسات الأدبية والتاريخية.

كتبه المنشورة:

1. ظاهرة القلق في الشعر الجاهلي، دار طلاس، دمشق، 1989.
2. في النقد الجمالي (رؤية في الشعر الجاهلي): دار الفكر، دمشق، 1996.
3. فلسفة الجمال وجغرافيا الذات في شعر الدكتور مانِع سعيد العُتَيْبَة، أبو ظبي، 2001.
4. الشعر الجاهلي (قراءة سيكولوجية)، مطبعة اليَمامة، حِمص، 2004.
5. الميثولوجيا والهويّة في شعر الهنود الحمر (ترجمة ودراسة)، مطبعة اليَمامة، حِمص، 2004.

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

6. القبائل الكُردية (ترجمة)، مؤسسة موكرياني للطباعة والنشر، أربيل، 2006.
7. موسوعة الميثولوجيا والأديان العربية قبل الإسلام، وزارة الثقافة، دمشق، 2006.
8. الكُرد وكُردستان (ترجمة)، مؤسسة سما للثقافة الكردية، 2007.
9. الكون الشعري (مدارات ومسارات في التذوق الجمالي)، وزارة الثقافة، دمشق، 2008.
10. عباقرة كُردستان في القيادة والسياسة، مؤسسة موكرياني للبحوث والنشر، أربيل، 2009.
11. سياحة في ذاكرة جبل الكُرد (كُرد داغ)، دار الزمان، دمشق، 2010م.
12. سِيَر أعلام الكُرد في التراث العربي (اللغويون- الأدباء- الموسيقيون)، دار البصائر، القاهرة، 2011.
13. مملكة ميديا، مؤسسة مُوكِرياني للبحوث والنشر، أربيل، إقليم كُردستان- العراق، 2011.
14. صورة الكرد في مصادر التراث الإسلامي، دار آراس، أربيل، إقليم كُردستان، العراق، 2012.
15. حكمة الأجداد في تراث مجتمع الإمارات (دراسة سوسيولوجية في الأمثال الشعبية)، نادي تراث الإمارات ومركز سلطان بن زايد للثقافة والإعلام، أبو ظبي، 2012.
16. تاريخ الكُرد في العهود الإسلامية، دار آراس- أربيل، دار الساقي- بيروت، الطبعة الأولى، 2013.

حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني
محفوظة للمترجم الدكتور أحمد محمود الخليل

17. – تاريخ الكفاح القومي الكُردي (1880 – 1925)، لروبرت أولسون، ترجمة، دار آراس– أربيل، ودار الفارابي– بيروت، 2013.
18. تاريخ أسلاف الكُرد، مؤسسة مُوكِرِياني للبحوث والنشر، أربيل، إقليم كردستان– العراق، 2013.
19. تاريخ مملكة ميتاني الحُورية، مؤسسة مُوكِرِياني للبحوث والنشر، أربيل، إقليم كردستان– العراق، 2013.
20. الشخصية الكُردية (دراسة سوسيولوجية)، مؤسسة مُوكِرِياني للبحوث والنشر، أربيل، إقليم كُردستان– العراق، 2013.

– مشارك في تأليف ثمانية كتب لتدريس مهارات اللغة العربية في المستوى الجامعي.
– حاصل على جائزتين علميتين: إحداهما في نقد الشعر، والثانية في تأليف القصة التاريخية.
– مشارك في اثني عشر مؤتمر، وندوة، ومحاضرة عامة.
– نشر حوالي ثلاثين مقالة في مجالات الأدب ونقد الشعر والتاريخ.
– نشر في شبكة الإنترنت عدداً كبيراً من الدراسات تتعلق بالشؤون الكُردية.